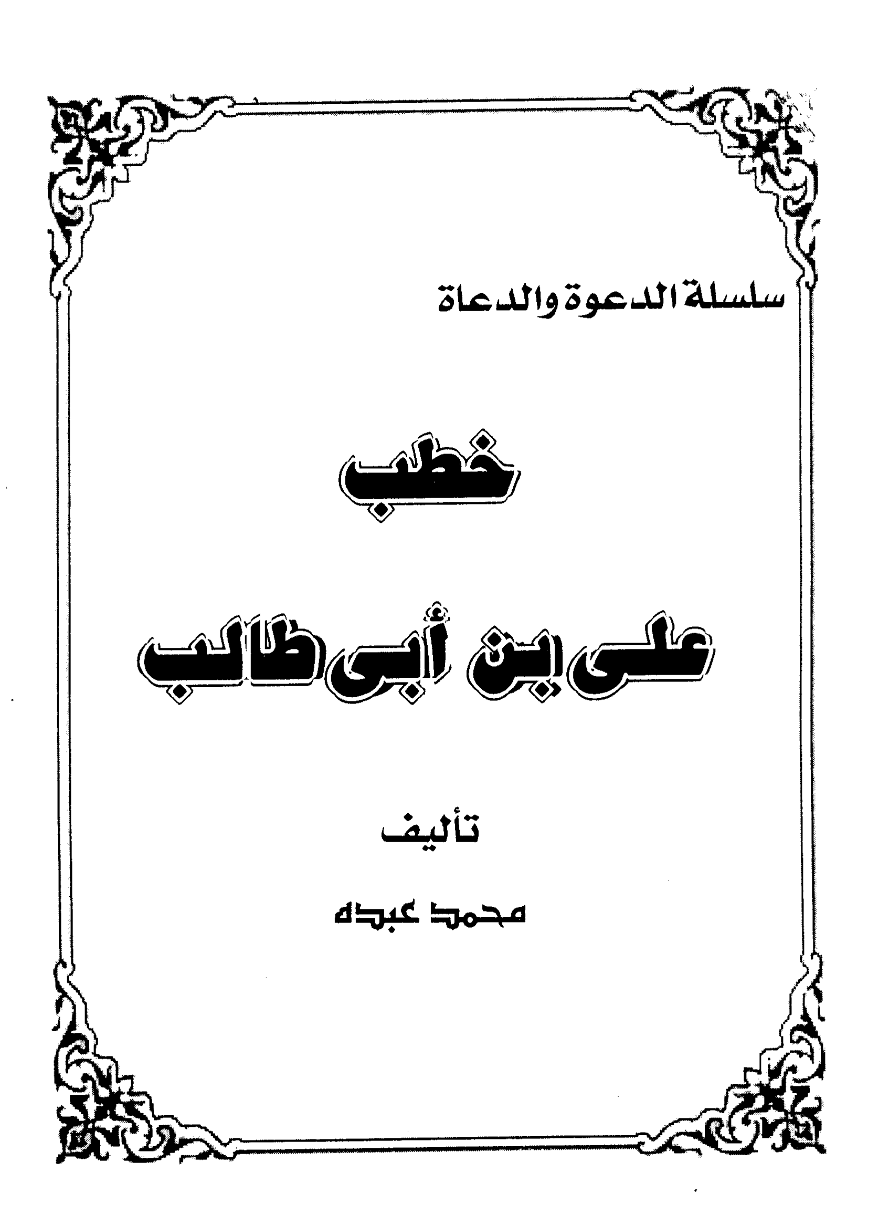


سلسلة الدعوة والدعاة

خطب

على بن أبى طالب

تأليف

محمد عبده

الطبعة الأولى

مكتبة الإيمان
المنصورة ـ أمام جامعة الأزهر
ت: ٢٢٥٧٨٨٢

المقدمة

الحمد لله الذى لا تحصى نعمه، هو الواحد المنفرد بحكمه، له الذلة والاستكانة عزة وإجلالاً.

بموقف ذُلِّى دون عـزتك العظمَى
بمَخْـفى سـر لا أُحـيطُ به علْمـا

بإطراق رأسى (١) باعـتـرافى بذلتى
بمَدِّ يدى أسـتمطرُ الجودَ والرُّحْمَى (٢)

بأسمائك الحسنى التى بعض وصفها
لعـزَّتهـا يسـتـغَـرق النثـر والنظمـا

بعـهـد قـديم من الَسْتُ بِرَبِّكم
بمن كـان مكنوناً فـعـرِّفَ بالأسـمـا

أذقْنا شَـرابَ الأُنْس (٣) يا من إذا سـقى
محبـاً شـرابا لا يضـام ولا يظمـا(٤)

والصلاة والسلام على محمد صلى الآله عليه وسلم، نور الهدى، إمام التُقى، شمس المعارف الأوحد، له الأيد النقية، والصفات الندية، فأجعله شفيعا لنا يا رب البرية

ثم أما بعد:

فقد وفقنا الإله فى إنهاء خطب الصديق والفاروق وذو النورين رضى

---

(١) إطراق رأسى: أملت رأسى إلى صدرى وسكت ولم أتكلم حيرة وخوفاً

(٢) الرحمى: الرحمة

(٣) المقصود الراحة والسكينة والهدوء وهى مايوحى به قوله تعالى ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾

(٤) يضام: يظلم، **والشعر فى ديوان الإمام الشافعى**

الله عنهم جميعا، وها نحن ذا فى خطب الإمام الذى قال فى حقه ابو نعيم «هو سيد القوم، محب الشهود، ومحبوب المعبود باب مدينة العلم والعلوم، ورأس المخاطبات، ومستنبط الإشارات، راية المهتدين، ونور المطيعين، وولى المتقين، وإمام العادلين، أقدمهم إجابة وإيمانا، وأقومهم قضية وإيقانا، وأعظمهم حلماً، وأوفرهم علماً» على بن أبى طالب كرم الله وجهه «قدوة المتقين، وزينة العارفين، المنبىء عن حقائق التوحيد، المشير الى لوامع علم التفريد، صاحب القلب العقول، واللسان السؤول، والأذن الواعى، والعهد الوافى، فقاء عيون الفتن، ووقىّ عن فنون المحن، فدفع الناكثين، ووضع القاسطين، ودمغ المارقين» (٥)

هذا من سننعم بالحديث عن خطبه على بن أبى طالب ﷺ، قال فيه ابو الأسود الدؤلى رثاء:

ألا يا عين ويحك أسعدينا
ألا تبكى أمير المؤمنينا
وتبكى أم كلثوم عليه
بعبرتها وقد رأت اليقينا
ألا قل للخوارج حيث كانوا
فلا قَرَّت عيون الحاسدينا
أفى شهر الصيام فجعتمونا؟
بخير الناس طُراً أجمعينا
قتلتم خير مَنْ ركب المطايا
وذللها، ومن ركب السفينا

(٥) حليه الأولياء وطبقات الاصفياء لأبى نعيم: ١/٦١ ـ ٦٢

ومن لبس النعـال ومن حَـذاها
ومن قــرأ المثــانىَ والمبــينا
وكل مناقب الخـيـرات فـيـه
وحب رسـول رب العـالمينا
لقـد علمت قريش حيث كـانت
بأنك خـيـرُهُمْ حـسـبـاً ودينا
إذا استقبلتُ وجه أبى حُسَيْن
رأيت البـدر فـوق الناظرينا
وكنا قـبل مـقـتله بخـيـر
نرى مـولى رسـول الله فـينا
يُقـيم الحق لا يرتاب فـيـه
ويعـدل فى العِـدَى والأقـربينا
وليس بكاتم علمـاً لديه
ولم يُخْلَقْ من المتكبـرينا
كـأن الناس إذا فـقـدوا عليـاً
نَعَـام حـار فى بلد سنينا
فلا تشمت معاوية بنَ صَخْرٍ
فـإن بقـيـة الخلفـاء فـينا (٦)

(٦) الشعر فى كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطى: ١٨٥.

وأرى هذا الكلام لا يوفى علياً رضي الله عنه قدره ولكنى أكتفى به، فسوف نتعرف أكثر على هذا العملاق من خلال كلامه وخطبه، التى سوف نجد فيها مثالاً حياً لفصاحته وعلو همته، ونضج فكره ورجاحة عقله، وسنرى كم خسرت الأمة بأسرها رجلاً كعلى بن أبى طالب رضي الله عنه، وسنرى أيضا ان هذه الأمة لو احتوت على على آخر لهمت ولعلت مرة ثانية، لذا ارجو من المولى عزوجل ان نقرأ فنعلم وعندما نعلم لنعمل بما علمنا عسى الله ان يخرج فينا مرة أخرى رجل كابن ابى طالب ليقود هذه الأمة اللهم آمين، وأخيرا اسأل الله لى ولكم العلم والعمل والأخلاص والأمل فى نصرة هذا الدين وان يحيينا الله ويقبضنا على كلمة الحق اللهم آمين

المؤلف
محمد عبده
المنصوره
٠١٠/٥١٣٠٠٣٩

التمهيد

الحمد لله الذى أنعم علينا بالاسلام، الحمد لله الذى أعد النار للفجار، والجنة للأبرار، الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، الحمد لله الذى جعل لهذا الدين نبيه وصحابته والإجلاء التابعين.

والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيد الخلق وخاتم المرسلين:

ثم أما بعد:

فالتمهيد أمر هام من خلالها يتسنى لنا معرفة ما بداخل هذا الكتاب حتى نستطيع السير فيه على علم ونهج ثابت وبالطبع هذا الكتاب يتحدث عن خطب أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه الذى قال عن نفسه أبيات شعرية وهى:

أنا أخو المصطفى لا شك فى نسبى ... معهُ ربيتُ وسبطاهُ همَا ولدى

جدى وجدُ رسولِ اللهِ منفرد ... وفاطمُ زوجتى لا قِّول ذى فندِ

صدقتهُ وجميعُ الناس فى بَهمٍ ... من الضلالةِ والإشراكِ والنكدِ

فالحمد لله شكراً لا شريك لهُ ... البَرُّ والباقى بلا أمدِ

هذا هو على بن أبى طالب الذى سنتحدث فى شأن خطبه، والكتاب ان شاء الله مقسم إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: خطب الفتنة وسنتناول ما قاله الإمام عند توليه وما قاله فى أثناء الفتنة وقتال الخوارج

الفصل الثانى: خطب المواعظ ونتناول فيها الخطب الخاصة بالهداية وتقويم النفوس.

الفصل الثالث: خطبه الشافية وفيها ما قاله فى شأن نفسه واصحاب رسول الله ﷺ ثم وصيته.

وحتى لا أطيل عليكم فيها بنا للنعم بخطب الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه.

الفصل الأول
خطب الفتنة



الفصل الأول
خطب الفتنة

قبل أن يُقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، اندلعت فتنة عظيمة، أوقدها من أرادوا ضرب الإسلام فى مقتل، وبعد ما قُتِلَ عثمان بن عفان رضي الله عنه أخذ عَلِىٌّ رضي الله عنه لواء الإمارة، وأراد أن يبطش بمن ضربوا الإسلام فى عموده الفقرى، ولكنهم كانوا أدهى منه فأثاروا الفتنة وأشعلوها، وكانت من نصيب على بن أبى طالب رضي الله عنه، الذى عانى منها منذ ولايته إلى مقتله.

ولعل الخطبة الأولى له توضح لنا ذلك، وكيف أنه كان كارهاً؟، ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولاً.

اللهم اشهد عليهم

اختلف القوم بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه مراراً، ثم أتوا على بن أبى طالب رضي الله عنه فى آخر ذلك، فقالوا له: إنه لا يصلح الناس إلا بإمرة، وقد طال الأمر.

فقال لهم: إنكم قد اختلفتم إلى وأتيتم، وإنى قائل لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم وإلا فلا حاجة لى فيه.

قالوا: ما قلت من شىء قبلناه إن شاء الله.

فجاء فصعد المنبر، فاجتمع الناس إليه، فقال:

نص

(إنى قد كنت كارهاً لأمركم، فأبيتم إلا أن أكون عليكم، ألا وإنه ليس لى أمر دونكم، إلا أن مفاتيح مالكم معى، ألا وإنه ليس لى أن آخذ منه درهماً دونكم، رضيتم؟

قالوا: نعم

قال: اللَّهم اشهد عليهم) (١)

ثم بايعهم على ذلك

خطبة البيعة

بويع عل بن أبى طالب رضي الله عنه يوم الجمعة لخمس بقين من ذى الحجة. والناس يحسبون من يوم مقتل عثمان رضي الله عنه. فأول خطبة خطبها عَلِىٌّ رضي الله عنه حين استخلف. ما كتبه السرى عن شعيب، عن سيف، عن سليمان بن المغيرة، عن على بن الحسين. عن على بن أبى طالب رضي الله عنه.

أنه حمد الله وأثنى عليه، فقال:

نص

(إن الله عزَّ وجلَّ أنزل كتاباً هادياً بيَّن فيه الخير والشر، فخذوا بالخير ودعوا الشر. الفرائض أدوها إلى الله سبحانه يؤدّكم إلى الجنة.

إن الله حرَّم حرَماً غير مجهولة، حُرمة المسلم على الحُرم كلها، وشد بالإخلاص والتوحيد المسلمين.

والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل أذى المسلم إلا بما يجب.

بادروا أمر العامة، وخاصة أحدكم الموت، فإنما الناس أمامكم، وإن ما عن خلفكم الساعة تحدوكم.

تخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر الناس أخراهم.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبرى: ٥/٤٤٩

اتقوا الله عباده فى عباده وبلاده، إنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله عزَّ وجلّ ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [٢]﴾ [٣]

فقال له المصريون:

خذها إليك واحذراً أبا حسن

إنا نُمِرُّ الأمر إمرار الرَّسَن [٤]

صَوْلَةَ أقوامٍ كأسداء السُّفُنَ [٥]

بمشرفيّاتٍ كغُدران اللبن

ونَطعن المُلكَ بلَيْن كالشَّطَنْ [٦]

حتى يُمَرَّنَّ على غيرِ عَنَنْ [٧]

فقال علياً مجيبا لهم:

إن عجزتُ عجزةً لا أعتذرْ

سوف أكيسُ بعدها وأستمر

(٢) سورة الأنفال: ٢٦

(٣) الخبر والخطبة فى تاريخ الأمم والملوك للطبرى: ٤٥٨/٥، والبداية والنهاية لابن كثير: ٢١٥/٧ وحياة الصحابة للكاندهلوى: ٢٤٥/٤، وفى إتمام الوفاء للخضرى: ٢٥٥

(٤) أى: نفتله ونحكمه جيداً

(٥) إسداء السفن: السفن الضخمة

(٦) الشطن: الحبل الطويل

(٧) عنن: اسم من عن، بمعنى ظهر وعرض، أو عنن هذه مصدر من عن.

أرفعُ من ذَيلى مــا كنت أجــرُ

وأجمعُ الأمرَ الشتيتَ المُنتشِرَ

إن لم يُشاغبنى العَجولُ المُنتَصِرَ

أو يتركونى والسِّلاحُ يُبْتَدَرَ (٨)

رسولاً هادياً مهدياً

اختلف الناس عَلَى عَلَىٍّ بن أبى طالب رضي الله عنه، بعد توليه الإمارة، وقالوا فيه: إنه لا يأخذ بدم عثمان بن عفان رضي الله عنه، وادعى بذلك معاوية رضي الله عنه، وكذا قام أهل مصر عليه وكَثُرَ اللغط، ولكن اسمعوا معى، ما قاله ابن جرير الطبرى «أقبل على بن أبى طالب رضي الله عنه على التهيؤ والتجهز، وخطب أهل المدينة فدعاهم إلى النهوض فى قتال أهل الفرقة، وقال:

نص

(إن الله عزَّ وجلَّ بعث رسولاً هادياً مهدياً بكتاب ناطق وأمر قائم واضح، لا يهلك عنه إلا هالك، وإن المبتدعات والشبهات هن المهلكات إلا فى حفظ الله، وإن فى سلطان الله عصمة أمركم، فأعطوه طاعتكم غير مَلْوَّمَّة ولا مستكره بها، والله لتفعلُنَّ أو لينقلن عنكم سلطان الإسلام ثم لا ينقله إليكم أبداً حتى يأرز الأمر إليها (٩) انهضوا إلى هؤلاء القوم الذين يريدون يفرقون جماعتكم لعل الله يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق، وتقضون الذى عليكم) (١٠)

(٨) الشعر فى تاريخ الطبرى: ٤٥٩/٥، والبداية والنهاية: ٢١٥/٧

(٩) يأرز الأمر إليها: أى: يرجع الأمر إليها.

(١٠) تاريخ الأمم والملوك للطبرى: ٤٧٠/٥

أراد على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يوضح لأصحابه أن المسألة ليست مسألة دفاع عن إمارة ولكن هو الإسلام والحفاظ عليه بهدى النبى محمد ﷺ، ولعل الخطبة القادمة توضح أكثر.

يحكم الله بينى وبينهم

خرج على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لردع الفتنة، فسار حتى نزل ذا قار، وأمر بجوالقين فضم أحدهما إلى صاحبه، ثم جىء برحل فوضع عليهما، ثم جاء يمشى حتى صعد عليه، وسدل رجليه من جانب واحد، ثم حمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمد ﷺ ثم قال:

نص

(قد رأيتم ما صنع هؤلاء القوم وهذه المرأة

فقام إليه الحسن فبكى، فقال له على: قد جئت تخنُّ [١١] خنين الجارية؛ فقال: أجل، أمرتك فعصيتنى، فأنت اليوم تقتل بمضيعة [١٢] لا ناصر لك، قال: حدث القوم بما أمرتنى به، قال: أمرتك حين سار الناس إلى عثمان ألا تبسط يدك ببيعة حتى تجول جائلة العرب، فإنهم لن يقطعوا أمراً دونك، فأبيت على، وأمرتك حين سارت هذه المرأة وصنع هؤلاء القوم ما صنعوا أن تلزم المدينة وترسل إلى من استجاب لك من شيعتك.

قال على: صدق والله، ولكن يا بنى ما كنت لأكون كالضبع تستمع للّدْم [١٣]، إن النبى ﷺ قُبِضَ وما أرى أحداً أحق بهذا الأمر منى، فبايع الناس أبا بكر،

(١١) تخن: أى تخرج صوتا ضعيفاً من خياشيمك

(١٢) مضيعة: دار ضياع

(١٣) للدم: صوت غير شديد يحدث بوقوع شىء على الأرض.

فبايعت كما بايعوا، ثم إن أبا بكر رضي الله عنه هلك وما أرى أحداً أحق بهذا الأمر منى، فبايع الناس عمر بن الخطاب، فبايعت كما بايعوا، ثم إن عمر رضي الله عنه هلك وما أرى أحداً أحق بهذا الأمر منى، فجعلنى سهماً من ستة أسهم، فبايع الناس عثمان فبايعت كما بايعوا، ثم سار الناس إلى عثمان رضي الله عنه فقتلوه، ثم أتونى فبايعونى طائعين غير مكرهين، فأنا مقاتل من خالفنى بمن اتبعنى حتى يحكم الله بينى وبينهم وهو خير الحاكمين) (١٤)

من هذه الخطبة يتضح لنا أن المسألة لم تكن مسألة نزاع على السلطة والإمارة ولكن هى عصا الإسلام، كل من يريد الإسلام، يريد إقامتها عالية شامخة.

وأرى أن بداية الخطبة كانت مبهمة فاسمحوا لى أن أوضحها، بجزء مما قاله العلامة ابن كثير: (قال على بن أبى طالب رضي الله عنه لابنه الحسن: ما الذى نهيتنى عنه فعصيتك؟

فأجابه الإمام الحسن ابنه وحبيبه عليه السلام جميعاً: ألم آمرك قبل مقتل عثمان أن تخرج منها لئلا يقتل وأنت بها فيقول قائل أو يتحدث متحدث؟ ألم آمرك أن لا تبايع الناس بعد قتل عثمان حتى يبعث إليك أهل كل مصر ببيعتهم؛ وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس فى بيتك حتى يصطلحوا فعصيتنى فى ذلك كله؟)

وبهذه الكلمات أرجو أن تكون أول الخطبة واضحة.

إن الله أعزنا بالإسلام

قبل أن أسوق لكم الخطبة اسمحوا لى أن أقول لكم أن هذه الخطبة جاءت بعد ما أوضح على بن أبى طالب الأمر لابنه لذا سأسوق إليكم أولا الرد، والأحداث ثم أورد الخطبة حتى يحدث الفهم التام لكلٍ منهما بأمر المولى عزَّ وجلَّ.

(١٤) الخبر والخطبة فى تاريخ الطبرى: ٥/٤٨٣ - ٤٨٤، وفى البداية والنهاية الكلام بالمعنى: ٧/٢٢٢.

قال على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رداً على ابنه: «أما قولك أن أخرج قبل مقتل عثمان فلقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما مبايعتى قبل مجىء بيعة الأمصار فكرهت أن يضيع هذا الأمر، وأما أن أجلس وقد ذهب هؤلاء إلى ما ذهبوا إليه. فتريد منى أن أكون كالضبع التى يحاط بها ويقال: ليست هاهنا، حتى يشق عرقوبها فتخرج، فإذا لم أنظر فيما يلزمنى فى هذا الأمر يعنينى فمن ينظر فيه؟ فكف عنى يا بنى)

ولما انتهى إليه خبر ما صنع القوم بالبصرة من الأمر الذى قدمنا كتب إلى أهل الكوفة مع محمد بن أبى بكر، ومحمد بن جعفر، إنى قد اخترتكم على أهل الأمصار فرغبت إليكم وفرغت لما حدث، فكونوا لدين الله أعوانا وأنصارا وانهضوا إلينا فالإصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخوانا، فمضيا وأرسل إلى المدينة فأخذ ما أراد من سلاح ودواب وقام فى الناس خطيباً فقال:

نص

(إن الله أعزنا بالإسلام ورفعنا به، وجعلنا به إخوانا. بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد، فجرى الناس على ذلك ما شاء الله، الإسلام دينهم والحق قائم بينهم، والكتاب إمامهم، حتى أصيب هذا الرجل بأيدى هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الأمة، ألا وإن هذه الأمة لابد مفترقة كما افترقت الأمم قبلها، فنعوذ بالله من شر ما هو كائن.

ثم عاد ثانية فقال: إنه لابد مما هو كائن أن يكون، ألا وإن هذه الأمة ستتفرق على ثلاث وسبعين فرقة تحبنى ولا تعمل بعملى، وقد أدركتم ورأيتم، فالزموا دينكم، واهتدوا بهديى فإنه هدى نبيكم، واتبعوا سنته، وأعرضوا عما أشكل عليكم حتى تعرضوه على الكتاب، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه، وارضوا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، وبالقرآن حكماً وإماماً) (١٥)

(١٥) الخبر والخطبة فى البداية والنهاية لابن كثير: ٧/٢٢٢

الإسلام سعادة

كتب السرى، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: لما جاءت وفود أهل البصرة إلى أهل الكوفة ورجع القعقاع من عند أم المؤمنين، وطلحة، والزبير بمثل رأيهم جمع على الناس، ثم قام على الغرائر، فحمد الله عزَّ وجلَّ وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ ثم.

نص

ذكر الجاهلية وشقاءها والإسلام والسعادة وإنعام الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله ﷺ، ثم الذى يليه، ثم حدث هذا الحدث الذى جره على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا، حسدوا من أفاءها الله عليه على الفضيلة، وأرادوا رد الأشياء على أدبارها، والله بالغ أمره ومصيب ما أراد. ألا وإنى راحل غداً فارتحلوا، ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان بشىء من الأمور فى شىء من أمور الناس، وليُغْنِ السفهاء عنى أنفسهم) (١٦)

طليق ابن طليق

عندما اندلعت الفتنة بين على بن أبى طالب رضي الله عنه ومعاوية رضي الله عنه، ودارت الحرب، حدثت الخطب، وكثرت المجادلات ومن ضمن هذه الخطب خطبة طليق ابن طليق، التى استسمحكم فى عرض حوارها قبل عرضها.

قال أبو مخنف: حدثنى سليمان بن أبى راشد الأزدى، عن عبد الرحمن ابن عبيد أبى الكنود، أن معاوية بعث إلى على حبيب بن مسلمة الفهرى

١٦) تاريخ الأمم والملوك للطبرى: ٥/٥٢٥.

وشرحبيل بن السِّمْط ومعن بن يزيد بن الأخنس، فدخلوا عليه وأنا عنده، فحمد الله حبيب وأثنى عليه، ثم قال:

«أما بعد، فإن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان خليفة مهدياً، يعمل بكتاب الله عزَّ وجلَّ، وينيب إلى أمر الله تعالى، فاستثقلتم حياته، واستبطأتم وفاته، فعدوتم عليه فقتلتموه، فأدفع إلينا قتلة عثمان - إن زعمت أنك لم تقتله - نقتلهم به، ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم، يولى الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم.

فقال له على بن أبى طالب: وما أنت لا أم لك والعزل وهذا الأمر؛

اسكت فإنك لست هناك ولا بأهل له؛، فقام وقال له: والله لترينِّى بحيث تكره فقال على: وما أنت ولو أجلبت بخيلك ورجلك؛ لا أبقى الله عليك إن أبقيت على، أحُقرَةً وسوءاً؛ اذهب فصوِّب وصعِّد ما بدا لك.

وقال شرحبيل بن السمط: إنى إن كلمتك فلعمرى ما كلامى إلا مثل كلام صاحبى قبلُ، فهل عندك جواب غير الذى أجبته به؟، فقال على: نعم لك ولصاحبك جواب غير الذى أجبته به.

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

نص

(أما بعد ....؛

فإن الله جلَّ ثناؤه بعث محمداً ﷺ بالحق، فأنقذ به من الضلالة، وانتاش به من الهلكة، وجمع به من الفرقة، ثم قبضه الله إليه وقد أرى ما عليه ﷺ، ثم استخلف الناس أبا بكر رضي الله عنه، واستخلف أبو بكر عمر رضي الله عنه، فأحسنا السيرة، وعدلا فى الأمة، وقد وجدنا عليهما أن توليا علينا ـ ونحن آل رسول الله ﷺ ـ فغفرنا ذلك لهما، وولى عثمان رضي الله عنه فعمل بأشياء عابها الناس عليه، فساروا إليه فقتلوه، ثم أتانى الناس وأنا معتزل أمورهم، فقالوا لى: بايع، فأبيت عليهم، فقالوا لى: بايع، فإن الأمة لا ترضى إلا بك؛، وإنَّا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس، فبايعتهم، فلم يرعنى إلا شقاق رجلين قد بايعانى، وخلاف معاوية الذى لم يجعل الله عزَّ وجلَّ له سابقة فى الدين، ولا سلف صدق فى الإسلام، طليق ابن طليق، حزب من هذه الأحزاب، لم يزل الله عزَّ وجلَّ ولرسوله ﷺ وللمسلمين عدواً هو وأبوه حتى دخلا فى الإسلام كارهين، فلا غرو إلا خلافكم معه، وانقيادكم له، وتدعون آل نبيكم ﷺ الذين لا ينبغى لكم شقاقهم ولا خلافهم، ولا أن تعدلوا بهم من الناس أحداً.

ألا إنى أدعوكم إلى كتاب الله عزَّ وجلَّ وسنة نبيه ﷺ وإماتة الباطل، وإحياء معالم الدين أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم ولكل مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة) (١٧)

إن الله مع الصابرين

قال أبو مخنف: حدثنى إسماعيل بن يزيد، عن أبى صادق، عن

(١٧) تاريخ الأمم والملوك للطبرى: ٥/٦١٨ ـ ٦١٩.

الحضرمى قال: سمعت علياً يحرض الناس فى ثلاثة مواطن: يحرض الناس يوم صفين، ويوم الجمل، ويوم النهر، يقول:

نص

(عباد الله، اتقوا الله، وغضوا الأبصار، واخفضوا الأصوات، وأقلوا الكلام ووطنوا أنفسكم على المنازلة والمجاولة والمبارزة والمناضلة والمجالدة والمعانقة والمكادمة، والملازمة، فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون. ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين. اللّهم الهمهم الصبر وأنزل عليهم النصر، وأعظم لهم الأجر.) (١٨)

نحن من ربنا بمرأى ومسمع

قال أبو مخنف: حدثنى مالك بن أعين الجُهَنى، عن زيد بن وهب، أن عليا قال: حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا؛ فقام فى الناس خطيباً عشية الثلاثاء ليلة الأربعاء بعد العصر، فقال:

نص

الحمد لله الذى لا يبرم ما نقض، وما أبرم لا ينقضه الناقضون، لوشاء ما اختلف اثنان من خلقه، ولا تنازعت الأمة فى شىء من أمره، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله، وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار، فلفت بيننا فى هذا المكان، فنحن من ربنا بمرأى ومسمع، فلو شاء عجل النقمة، وكان منه التغيير حتى يكذب الله الظالم، ويعلم الحق أين مصيره، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة عنده هى دار القرار، ليجزى الذين أساءوا بما

(١٨) تاريخ الأمم والملوك للطبرى: ٥/٦٢٢.

عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ألا إنكم لاقوا القوم غداً، فأطيلوا الليلة القيام، وأكثروا تلاوة القرآن، وسلوا الله عزَّ وجلَّ النصر والصبر، والقوهم بالجد والحزم وكونوا صادقين) (١٩)

تجارة تنجيكم من عذاب أليم

لابد من خطب وكلمات تحث المؤمنين على القتال، لأن الإنسان فى ساحة القتال، يحاول معه الشيطان أكثر من مرة، حتى يبعده عن الجنة، لذا ينبغى على الداعية فى هذا الموقف أن يكثر من التذكرة، حتى يدفع الشيطان عن لواء المجاهدين.

ولقد خطب الإمام على بن أبى طالب فى المجاهدين يوم صفين قائلا:

نص

(إن لله عزَّ وجلَّ قد دلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تشفى (٢٠) بكم على الخير: الإيمان بالله عزَّ وجلَّ وبرسوله ﷺ، والجهاد فى سبيل الله تعالى ذكره، وجعل ثوابه مغفرةالذنب، ومساكن طيبة فى جنات عدن. ثم أخبركم أنه يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص، فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص، وقدموا الدارع، وزخروا الحاسر، وعضوا على الأضراس، فإنه أنبى (٢١) للسيوف عن الهام (٢٢) والتووا فى أطراف الرماح، فإنه أصون للأسنة.

(١٩) تاريخ الأمم والملوك للطبرى: ٥/٦٢٥.

(٢٠) تشفى: بمعنى تشرف، والمقصود عنا تشفى بكم: أى تشرف بكم.

(٢١) أنبى: أى أبعد.

(٢٢) الهام: المقصود بها الرؤوس

وغضوا الأبصار فإنه أربط للجأش، وأسكن للقلوب، وأميتوا الأصوات، فإنه أطرد للفشل، وأولى بالوقار.

راياتكم فلا تميلوها ولا تزيلوها، ولا تجعلوها إلا بأيدى شجعانكم، فإن المانع للذمار، والصابر عند نزول الحقائق هم أهل الحفاظ الذين يحفون براياتهم ويكنفونها، يضربون حفافيها خلفها وأمامها، ولا يضعونها. أجزأ امرؤ وقذ قِرنَه (٢٣) - رحمكم الله - وآسى أخاه بنفسه، ولم يكل قرنه إلى أخيه، فيكسب بذلك لأئمة، ويأتى به دناءة.

وأنى لا يكون هذا هكذا! وهذا يقاتل اثنين، وهذا ممسك بيده يدخل فى قرنه على أخيه هارباً منه، أو قائماً ينظر إليه! من يفعل هذا يمقته لله عزَّ وجلَّ، فلا تَعَرَّضوا لمقت الله سبحانه فإنما مردكم إلى الله، قال الله عزَّ من قائل: ﴿لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٢٤)

وايم الله لئن سلمتم من سيف العاجلة لا تسلمون من سيف الآخرة.

واستعينوا بالصدق والصبر، فإن بعد الصبر ينزل الله النصر) (٢٥)

لا تمنعكم مساجد الله

الكل يعلم تماما ما حدث فى عملية التحكيم، وكيف خُدعَ أبو موسى رضي الله عنه، ولكن على رضي الله عنه وافق بالتحكيم، فخرج عليه أُناس كانوا قد أمروا بكف القتال عندما رفع معاوية رضي الله عنه المصحف على أسنة الرماح، وأمرهم على أن يقاتلوا فإن الحرب خُدعة.

(٢٣) وقذ قرنه: ضربه بشدة (٢٤) سورة الأحزاب: آية ١٦.

(٢٥) تاريخ الطبرى: ٥/٦٢٨ - ٦٢٩

هؤلاء الخوارج دار بينهم وبين الإمام على العديد من الحوارات أثناء خطبه ومنها.

نص

(قام على فى الناس يخطبهم ذات يوم، فقال رجل من جانب المسجد: لا حكم إلا لله، فقام آخر فقال مثل ذلك، ثم توالى عدة رجال يحكمون.

فقال على: الله أكبر، كلمة حق يلتمس بها باطل؛ أما إن لكم عندنا ثلاثا ما صحبتمونا: لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفىء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدؤونا، ثم رجع إلى مكانه الذى كان فيه من خطبته) (٢٦)

وإليكم ما جاء فى خطبة جُملة واحدة.

●● ﴿(قال أبو مخنف: وحدثنا عن القاسم بن الوليد، أن حكيم بن عبد الرحمن بن سعيد البكائى كان يرى رأى الخوارج، فأتى علياً ذات يوم وهو يخطب فقال:

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢٧)

فقال على: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾ (٢٨)﴾

●● (خطب على بن أبى طالب رضي الله عنه الناس فى صلاة الظهر، فذكر أمرهم فعابه، فوثبوا من نواحى المسجد يقولون: «لاحكم إلا لله. واستقبله رجل منهم واضع أصبعيه فى أذنيه، فقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن

(٢٦) تاريخ الأمم والملوك: ٥/٦٨٧

(٢٧) سورة الزمر: آية ٦٥ (٢٨) سورة الروم: آية ٦٠

قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر: ٦٥).

فقال على: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾ (الروم: ٦٠) [٢٩]

المعصية تورث الحسرة

وبعد فترة رأى على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الحكمين لم يفيا بما تعهدا به من الحكم بالقرآن، بل اتبع كل منهما هواه، فصمم على حرب معاوية مرة أخرى وخطب أصحابه خطبة قال فيها:

نص

(الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحَدَثَان [٣٠] الجليل، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أما بعد.

فإن المعصية تُورث الحسرة وتعقب الندم، وقد كنت أمرتكم فى أمر، ولكن أبيتم إلا ما أردتم فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن:

أمرتهم بأمر بمُنعَرَجِ اللوَى

فلم يَستَبينوا الرُّشدَ إلا ضُحى الغد

ألا إن هذين الرجلين اللَّذين اخترتموهما حَكمَين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهرهما، وأحييا ما أمات القرآن، واتَّبع كلٌّ واحد منهما هواه بغير هُدىً من الله، فحكما بغير حجة بينة، ولا سنة ماضية، واختلفا فى حكمهما، وكلاهما لم يرشد، فبرىء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين. استعدوا

(٢٩) النص فى تاريخ الطبرى: ٦٨٧/٥ ـ ٦٨٨ وهو أيضا بالمعنى واقتراب النص فى البداية والنهاية لابن كثير: ٢٧٠/٧.

(٣٠) الحدثان: النوائب.

وتأهبوا للمسير إلى الشام، وأصبحوا فى معسكركم إن شاء الله يوم الاثنين) [٣١]

قاتلوا من حادَّ الله

وصلت الخطبة السابقة إلى الخوارج مع رسالة أيضا من على بن أبى طالب رضي الله عنه يخبرهم أنه وافق على قتال معاوية، فكان الرد منهم (إن هذا انتصار لنفسك لا لدين الله) فأمر على بن أبى طالب رضي الله عنه بالإجهاز عليهم.

قال أبو مخنف: عن المعلى بن كليب الهمدانى. عن جبر بن نَوْف أبى الوداك الهمدانى: إن علياً لما نزل بالنُّخيلةِ وأيس من الخوارج، قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

نص

(أما بعد، فإنه من ترك الجهاد فى الله وأدهن فى أمره كان على شفا هلكهِ إلا أن يتداركه الله بنعمة، فاتقوا الله، وقاتلوا من حادَّ الله، وحاول أن يطفىء نور الله، قاتلوا الخاطئين الضالين، القاسطين المجرمين، الذين ليسوا بقراء للقرآن ولا فقهاء فى الدين، ولا علماء فى التأويل، ولا لهذا الأمر بأهل سابقة فى الإسلام، والله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل، تيسروا وتهيئوا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب، وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم، فإذا قدموا فاجتمعتم شخصنا إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله) [٣٢]

---

(٣١) تاريخ الأمم والملوك للطبرى: ٦٩١/٥ ـ ٦٩٢، والبداية والنهاية لابن كثير: ٢٧١/٧ ـ ٢٧٢، وكذا إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء للخضرى: ٢٨٦ ـ ٢٨٧

(٣٢) تاريخ الطبرى: ٦٩٣/٥.

صدق الله

أخذ الخوارج يقتلون فى المسلمين حتى وصل الخبر إلى على بن أبى طالب رضي الله عنه أنهم قتلوا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ، وكذا بقروا بطن زوجته وكانت حاملاً لطفله فأرسل على بن أبى طالب رضي الله عنه من يتأكد من هذا الخبر فقتل ولكن أهل الإيمان أكدوا لى الخبر وخبر قتل رسوله، وهنا عزم عَلَى قتالهم وأعدَّ الجيش وسار به، وقام فى الجيش قائلا:

نص

(أيها الناس.....؛

إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج قوم من أمتى يقرأون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشىء. ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشىء ولا صيامكم إلى صيامهم بشىء. يقرأون القرآن. يحسبون أنه لهم وهو عليهم. لا تجاوزُ صلاتهم تَرَاقِيَهُمْ يمرقُون من الإسلام كما يمرُقُ السهمُ من الرمية» لو يعلمَ الجيش الذين يصيبونهم، ما قضى لهم على لسان نبيهم ﷺ لا تّكلُوا عن العمل. وآية ذلك أن فيهم رجُلاً له عضدٌ وليس له ذراع على رأس عَضدِهِ مثل حلمة الثدى. عليه شعرات بيض. فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم فى ذراريكم وأموالكم؛

والله؛ إنى لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم. فإنهم قد سفكوا الدَّمَ الحرام وأغاروا فى سَرْحِ الناس. فسيروا على اسم الله.

قال سلمةُ بن كُهَيل: فنزلنى زيد بن وهب منزلاً. حتى قال: مررنا على قنطرة. فلما التقينا وعَلَى الخوارج يومئذ عبدُ الله بن وهب الراسبىُّ فقال لهم: القوا الرماح. وسُلُّوا سيوف من جفونها فإنى أخافُ أن يناشدُوكُم كما

ناشدوكم يوم حروراء. فرجعوا فوحَّشُوا برماحِهم وسَلُّوا السيوف وشجرهم الناسُ برماحهم. قال: وقتل بعضهم على بعضٍ. وما أصيب من الناس يومئذٍ إلا رجُلان.

فقال على رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ألتمسوا فيهم المُخْدَجَ. فالتمسوه فلم يجدوه. فقام على رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،بنفسه حتى أتى ناساً قد قتل بعضُهُمْ على بعض. قال: أخرُوهُم. فوجدوه مما يلى الأرض.

فكبر ثم قال: صدق الله. وبَلَّغ رسُولُهُ. قال: فقام إليه عبيدة السَّلْمَانِىُّ. فقال: يا أمير المؤمنين! الله الذى لا إله إلا هو؛ لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ؟

فقال: إى. والله الذى لا إله الا هو؛ حتى استحلفه ثلاثا. وهو يحلف له) (٣٣)

هذه الخطبة التى أبان فيها على بن أبى طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شأن الخوارج وما هم عليه فهم أُناس يصلون ويقرأون القرآن ولكن هى القلوب السوداء التى تريد ضرب عصا الإسلام.

وسوف أعرض عليكم إن شاء الله بعض الأحاديث الواردة عن الإمام عَلِىٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فى هؤلاء الخوارج وصفتهم ثم أترك البيان والشرح فى الإفادة إن شاء الله

١ - عن بسر بن سعيد، عن عبيد الله بن أبى رافع، مولى رسول الله ﷺ أن الحرورية لما خرجت، وهو مع على بن أبى طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قالوا: لا حكم إلا بالله.

(٣٣) صحيح مسلم بشرح النووى: ١٨٠/٤ - ١٨١ (باب التحريض على قتل الخوارج، حديث رقم «٢٤٢٨»، وابو داود حديث رقم «٤٧٦٨» باب «فى قتال الخوارج»: ٢٤٢/٤.

قال على: (كلمةُ حق أريد بها باطل إن رسول الله ﷺ وَصَفَ نَاساً. إنى لأعرف صفتهم فى هؤلاء «يقولون الحق بألسنتهم لا يَجُوزُ هذا، منهم «واشارَ إلى حَلقِهِ» من أبغض خلق الله إليه. منهم أسود إحدى يديه طُبىُ شاةٍ أو حلمةُ ثدى»)

فلما قتلهم على بن أبى طالب رضي الله عنه قال: انظروا، فنظروا فلم يجدوا شيئاً. فقال: ارجعوا. فوالله؛ ما كَذَبْت ولا كُذِبْتُ مرتين أو ثلاثاً. ثم وجدُوهُ فى خَرِبَةٍ فأتوا به حتى وضعوه بين يديه.

قال عبيد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم. وقَوْلِ عَلِىَّ فيهم. زاد يونس فى روايته: قال بكير: وحدثنى رجُلُ عن بن حنين أنه قال: رأيت ذلك الأسود (٣٤)

٢ ـ عن سُوَيد بن غَفَلَةَ قال. قال على: إذا احَدَّثْتُكُمْ عن رسول الله ﷺ فلأَنْ أخِرَّ من السماءِ أَحَبُّ إلَىَّ من أن أقول عليه ما لم يَقُل. وإذا حَدَّثتكم فيما بينى وبينكم فإن الحَرْبَ خَدعَةُ سمعت رسول الله ﷺ يقول «سيخرُجُ فى آخر الزمان قومُ أحداثُ الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولُون من خَيْر قول البرية يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم. يمرقون من الدين كما يمرقُ السهمُ من الرَّمِيَّة فإذا لقيتموهم. فإن فى قتلهم أجراً، لمن قتلهم، عند الله يوم القيامَةِ» (٣٥)

٣ ـ حدثنا إبراهيم يعنى ابن عبد الأعلى، عن طارق بن زياد، قال: خرجنا مع عَلِىٍّ إلى الخوارج، فقتلهم ثم قال: انظروا، فإن نبى الله ﷺ قال: إنه سيخرج قوم يتكلمون بالحق لا يجوز حلقهم، يخرجون من الحق كما

---

(٣٤) صحيح مسلم بشرح النووى: ١٨١/٤ ـ ١٨٢ باب (التحريض على قتل الخوارج) حديث رقم «٢٤٢٩» وتفرد به مسلم

(٣٥) فتح البارى شرح صحيح البخارى: ٦١٨/٦، ومسلم بشرح النووى: ١٧٨/٤، وأبو داود: ٢٤٢/٤، والنسائى: ١١٩/٧

يخرج السهم من الرمية، سيماهم أن منهم رجلاً أسود مخدج اليد، فى يده شعرات سود، إن كان هو فقد قتلتم شر الناس، وإن لم يكن هو فقد قتلتم خير الناس، فبكينا.

ثم قال: اطلبوا، فطلبنا، فوجدنا المخدج، فخررنا سجوداً وخر عَلِىٌّ معنا ساجداً، غير أنه قال: يتكلمون بكلمة الحق (٣٦)

هذه الأحاديث كتبتها لتعضد من خطبة الإمام على رضي الله عنه، واستبقى علتها للإفادة إن شاء الله.

لله أنتم

بعد قتل الخوارج، أراد عَلِىٌّ رضي الله عنه الخروج لمعاوية رضي الله عنه.

قال أبو مخنف عمن ذكره، عن زيد بن وهب: إن علياً قال للناس ـ وهو أول كلام قاله لهم بعد النهر:

«أيها الناس، استعدوا للمسير إلى عدو فى جهاده القربة إلى الله ودرك الوسيلة. عنده حيارى فى الحق، جفاة عن الكتاب، نُكُبٌ عن الدين، يعمهون فى الطغيان، ويُعكسون فى غمرة الضلال، فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، وتوكلوا على الله، وكفى بالله وكيلاً، وكفى بالله نصيراً؟»

قال: فلا هم نفروا، ولا تيسروا، فتركهم أياماً حتى إذا أيس من أن يفعلوا دعا رؤساءهم ووجوههم، فسألهم عن رأيهم، وما الذى ينظرهم، فمنهم المعتل ومنهم المكره، وأقلهم من نشط، فقام فيهم خطيباً فقال:

---

(٣٦) رواه الإمام أحمد فى مسنده: ١/١٠٧ ـ ١٠٨، وجامع المسانيد والسنن: ١٩/٢٤٩ ـ ٢٥٠.

نص

(عباد الله، ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا اثاقلتم إلى الأرض؛ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة، وبالذل والهوان من العز؛ أو كلما ندبتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت فى سكرة، وكأن قلوبكم مألوسة [٣٧] فأنتم لا تعقلون، وكأن ابصاركم كمه فأنتم لا تبصرون. لله أنتم؛ ما أنتم إلا أسود الشرى فى الدعة، وثعالب رواغة حين تدعون إلى البأس ما أنتم لى بثقة سجيس الليالى [٣٨] ما أنتم بركب يصال بكم، ولا ذى عز يعتصم إليه. لعمر الله، لبئس حشاش الحرب أنتم؛ إنكم تكادون ولا تكيدون، وينتقص أطرافكم ولا تتحاشون، ولا ينام عنكم وأنتم فى غفلة ساهون إن أخا الحرب اليقظان ذو عقل، وبات لذل من وادع، وغلب المتجادلون، فالمغلوب مقهور ومسلوب.

ثم قال: أما بعد فإن لى عليكم حقاً، وإن لكم على حقاً، فأما حقكم على فالنصيحة لكم ما صحبتكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كى لا تجهلوا، وتأديبكم كى تَّعلموا. وأما حقى عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصح لى فى الغيب والمشهد، والإحالة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم، فإن يرد الله بكم خيراً انتزعتم عما أكره، وتراجعوا إلى ما أحب تنالوا ما تطلبون، وتدركوا ما تأملون.) [٣٩]

صريخ محمد بن أبى بكر

أرسل محمد بن أبى بكر يستصرخ على بن أبى طالب حتى يبعث إليه المدد، فقام على فى الناس، وقد أمر فنودى: الصلاة جامعة؛ فاجتمع الناس فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمد ﷺ ثم قال:

(٣٧) مألوسة: من الألس وهو ذهاب العقل.
(٣٨) سجيس الليالى: أى الدهر كله.
(٣٩) تاريخ الأمم والملوك للطبرى: ٥/٧٠٦.

نص

(أما بعد، فإن هذا صريخ محمد بن أبى بكر وإخوانكم من أهل مصر، قد سار إليهم ابن النابغة [٤٠] عدو الله، وولى من عادى الله، فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم والركون إلى سبيل الطاغوت أشد اجتماعاً منكم على حقكم هذا، فإنهم قد بدأوكم وإخوانكم بالغزو فاعجلوا إليهم بالمؤاساة والنصر.

عباد الله إن مصر أعظم من الشام، أكثر خيراً، وخير أهلاً، فلا تغلبوا على مصر، فإن بقاء مصر فى أيديكم عِزٌّ لكم، وكبت لعدوكم، اخرجوا إلى الجدعة بين الحيرة والكوفة، فوافونى بها هناك غداً إن شاء الله) [٤١]

لا دين يجمعكم

بعد الخطبة السابقة وفى الغد خرج على بن أبى طالب رضي الله عنه يمشى، فنزلها بُكرَةً، فأقام بها حتى انتصف النهار يومه ذلك، فلم يوافه منهم رجل واحد، فرجع. فلما كان من العشى بعث إلى أشراف الناس، فدخلوا عليه القصر وهو حزين كئيب فقام فيهم خطيبا فقال:

نص

(الحمد لله على ما قضى من أمرى، وقدر من فعلى، وابتلانى بكم أيتها الفرقة ممن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت، لا أبا لغيركم!

ما تنتظرون بصبركم، والجهاد على حالكم؛ الموت والذل لكم فى هذه

(٤٠) ابن النابغة: هو عمرو بن العاص رضي الله عنه فأمه اسمها النابغة.

(٤١) تاريخ الأمم والملوك: ٦/٢٠.

الدنيا على غير الحق، فوالله لئن جاء الموت ـ وليأتين ـ ليفرقن بينى وبينكم، وأنا لصحبتكم قالٍ (٤٢)، وبكم غير ضنين، لله أنتم؛

لا دين يجمعكم، ولا حمية تحميكم، إذا أنتم سمعتم بعدوكم يَرِدُ بلادكم، ويشنُّ الغارة عليكم.

أوليس عجبا أن معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير عطاء ولا معونة؛ ويجيبونه فى السنة المرتين والثلاث إلى أى وجه شاء، وأنا أدعوكم ـ وأنتم أولو النهى (٤٣) وبقية الناس ـ على المعونة وطائفة منكم على العطاء، فتقومون عنى وتعصوننى وتختلفون على؟ (٤٤)

أف لكم

وصل على بن أبى طالب رضي الله عنه خبر مقتل محمد بن أبى بكر فحزن حزناً شديداً، وقام فى الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله ﷺ وقال:

نص

(ألا إن مصر قد افتتحها الفجرة أولو الجور والظلم الذين صدوا عن سبيل الله، وبغوا الإسلام عوجاً.

ألا وإن محمد بن أبى بكر قد استشهد ـ رحمه الله ـ، فعند الله نحتسبه. أما والله إن كان ما علمت لمن ينتظر القضاء، ويعمل للجزاء،

(٤٢) قالٍ: أى كاره

(٤٣) أولو النهى: أصحاب العقول.

(٤٤) البداية والنهاية لابن كثير: ٧/٢٩٩، وتاريخ الأمم والملوك: ٦/٢٠.

ويبغض شكل الفاجر، ويحب هدى المؤمن، إنى والله ما ألوم نفسى على التقصير، وإنى لمقاساة الحرب لجد خبير، وإنى لأقدم على الأمر وأعرف وجه الحزم، وأقوم فيكم بالرأى المصيب، فأستصرخكم معلناً، وأناديكم نداء المستغيث معرباً، فلا تسمعون لى قولاً، ولا تطيعون لى أمراً حتى تصير بى الأمور إلى عواقب المساءة، فأنتم القوم لا يدرك بكم الثأر، ولا تنقض بكم الأوتار، دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة فتجرجرتم جرجرة الجمل الأشدق (٤٥) وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليس له نية فى جهاد العدو، ولا اكتساب الأجر، ثم خرج إلى منكم جنيد متذانب كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون. فأف لكم!) (٤٦) ثم نزل

إنا لله وإنا إليه راجعون

عن شيخ من بنى نزارة، قال: بعث معاوية النعمان بن بشير فى ألفين فأتوا عين التمر، فأغاروا عليها، وبها عامل لعلى يقال له ابن فلان الأرحبى فى ثلاثمائة، فكتب إلى على يستمده، فأمر الناس أن ينهضوا إليه، فتثاقلوا، فصعد المنبر، فانتهيت إليه وقد سبقنى بالتشهد وهو يقول:

نص

(يا أهل الكوفة، كلما سمعتم بمنسر من مناسر (٤٧) أهل الشام أظلكم وأغلق بابه انجحر كل امرئ منكم فى بيته انجحار الضب فى جحره والضبع فى وجارها. المغرورُ من غررتموه، ولمن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب، لا أحرار

(٤٥) الأشدق: اى الواسع الشدق.

(٤٦) تاريخ الأمم والملوك: ٧/٢٠ ـ ٢٢.

(٤٧) المنسر: هو قطعة من الجيش تكون قدام الجيش الكبير.

عند النداء ولا إخوان ثقة عند النجاء، إنا لله وإنا إليه راجعون؛

ماذا منيت به منكم؟؛

عمىٌ لا تبصرون، وبكمٌ لا تنطقون، وصُم لا تستمعون. إنا لله وإنا إليه راجعون) (٤٨)

فاسألونى قبل أنْ تفقدونى

خطب الإمام على بن أبى طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه يوما الناس فقال:

نص

(أما بعد حمد الله، والثناء عليه، أيها الناس، فإنِّى فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجترئ عليها غيرى بعد أن ماج غَيْهَبُهَا، واشتد كَلَبُهَا.

فاسألونى قبل أن تفقدونى، فوالذى نفسى بيده لا تسألوننى عن شىء فيما بينكم وبين السَّاعَة، ولا عن فئة تهدِى مائة إلا نبأتكم بناعقِهاَ وقائدها وسائِقِهاَ. ومُنَاخِ ركَابِهاَ، ومَحَطِّ رِحَالِهاَ، ومن يُقتَلُ من أهلِها قتلاً، ومن يموتُ منهم موتاً.

ولو قد فقدتُمُونى، ونزلت بكم كَرَائهُ (٤٩) الأمُور، وحوازبُ الخطُوب، لأطرَقَ كثيرُ من السائلين، وفَشِلَ كثيرُ من المسئولين، وذلكَ إذا قَلَّصَتْ حَرْبُكُمْ، وشمرت عن ساق، وكانت الدنيا عليكم ضيقاً، تستطيلون أيام البلاء عليكم، حتى يفتح الله لِبَقِيَّة الأبرار منكم.

(٤٨) تاريخ الأمم والملوك: ٤٨/٦ ـ ٤٩، والبداية والنهاية لابن كثير: ٣٠٣/٧.

(٤٩) كرائه: جمع كريهة.

إن الفتَنَ إذا أقبلت شَبَّهَتْ، وإذا أدبرت نَبَّهَتْ، يُنكرنَ مُقبلاتٍ ويُعرفنَ مُدبراتٍ، يَحُمْن حَوْمَ الرِّياح يُصِبْنَ بلداً، ويخطئن بلداً.

ألا وإن أخوف الفتن عندى عليكم فتنةُ بنى أُمَيَّةَ، فإنها فِتْنَةٌ عمياء مُظلمةٌ عَمَّت، وخَصَّت بَلِيَّتُها، وأصاب البلاءُ من أبصر فيها، وأخطأ البلاءُ من عَمِيَ عنها.

وَايمُ الله لتجِدُنَّ بنى أُمية لكم أرباب سُوءٍ بعدى كالنَّاب الضَّرُوس تَعذِمُ بفيها، وتخبطُ بيدها، وتَزْبِنُ برجلها، وتمنعُ دَرَّها، لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعاً لَهُمْ؟ أو غيرَ ضائرٍ بهم.

ولا يزال بلاؤهم منكم حتى لا يكون انتصارُ أحَدِكُم منهم إلا مثل انتصار العَبْدِ من رَبِّهِ والصَّاحِبِ من مُستَصحِبِهِ، تَردُ عليكم فتنتهم شوهاً مخشِيَّةً، وقِطَعَاً جاهلِيَةً، ليس فيها منارُ هدى، ولا علمٌ يُرَى، نحن أهل البيت بنجاة، ولسنا فيها بدُعَاةٍ، ثم يُفَرِّجُها الله عنكم كتفريج الأديم، بمن يسومهم خسفاً، ويسوقهم عُنفاً، ويسقيهم بكأس مُصَبَّرَةٍ لا يعطيهم إلا السيف، ولا يُحلِسُهُمْ (٥٠) إلا الخوف، فعند ذلك تود قريش بالدنيا وما فيها لو يرونني مقاماً واحداً، ولو قدر جَزرِ جزورٍ (٥١)، لأقبل منهم ما أطلُبُ اليوم بعضهُ فلا تعطونيه.) (٥٢)

لا يَجْرِ مَنْكُمْ شِقَاقِى

إن الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه، هو أعلم الناس بأمور الدين، ولقد كان على علم بالفتنة وما هى مقوماتها، وكيف ستندلع؟ وأظن أن الخطبة

(٥٠) يحلسهم: اى يلبسهم.

(٥١) جزر الجزور: اى ذبح الإبل فالجزر هو الذبح والجزور من الأبل: يقع على الذكر والأنثى.

(٥٢) شرح نهج البلاغة: ٧/٤٤ ـ ٤٥.

السابقة بينت ذلك، ولنا هنا أيضا دلالة فهذه الخطبة ستبين لنا إن شاء الله حال الفتنة على لسان الإمام قبل اندلاعها، وحتى لا أطيل عليكم فإليكم نصها.

نص

(الحمد لله الأول قبل كل أول، والآخر بعد كل آخر، وبأوليته وَجَبَ أن لا أول له، وبآخريته وَجَبَ أن لا آخر لهُ.

وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة يوافق فيها السرُّ الإعلان، والقلب اللسان.

أيها الناس......؛

لايجرمنكم شقاقى، ولا يَستَهْوينكُم عصيانى، ولا تترامـوا بالأبصار عندما تسمعونه منى، فوالذى فلق الحبَة، وبرأ النسمة، إن الذى أنبئكم به عن النبى القرشى ﷺ، والله ما كَذَبَ المُبَلِّغُ، ولا جَهلَ السامعُ.

لكأنى أنظُرُ إلى ضِلِّيل [٥٣] قد نَعَقَ [٥٤] بالشام، وفَحَصَ براياته فى ضواحى كوفَانَ [٥٥].، فإذا فَغَرَتْ فاغرتُهُ [٥٦]، واشتدت شكيمته، وثقلت فى الأرض وطأته، عَضَّت الفتنةُ أبناءها بأنيابها، وماجت الحرب بأمواجها، وبدا من الأيام كلُوحُهاَ، ومن الليالى كُدُوحُها، فإذا أينع زَرَعُهُ، وقام على ساقه، وهدرت شقاشقه، وبرقت بوارقه [٥٧] عُقِدت راياتُ الفتن المعضِلَةِ، وأقبلن كالليل المظلم والبحر الملتطم.

(٥٣) ضليل: أى كثير الضلال.

(٥٤) نعق بالشام: النعيق صوت الراعى بغنمه والمقصود هنا معاوية وقيل: هى فتنة تحدث بعده.

(٥٥) كوفان: اسم الكوفة، والكوفة فى الأصل اسم الرملة الحمراء وبها سميت الكوفة،

(٥٦) فغرت فاغرته: أى فتح فاه والمقصود هنا فتح فاه للفتك والقتل.

(٥٧) برقت بوارقه: سيوفه ورماحه،

هذا وكم يَخْرِقُ الكُوفَةَ من قاصِفٍ (٥٨) ويمر عليها من عاصفٍ؛ وعن قليل تلتف القرونَ بالقرون، ويحصد القائم ويحطم المحصود؛ (٥٩) ﴾(٦٠)

طبيب دوّار بطبه

هذه الخطبة من خطب الملاحم التى قالها الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه، والتى اعتبرها من أعظم ما قيل ومن أعظم ما يكتب ولست بمبالغ فى قولى، ومن يريد الحكم فليقرأ معى الخطبة ولكن لنقرأها جيداً وبتمعن.

نص

(الحمد لله المُتَجَلِّى لخلقِهِ. بخَلقِهِ، والظاهرِ لقلوبهمْ بحُجَّتِهِ، خلق الخلق من غير رَوِيَّةٍ (٦١)، إذا كانت الرَّوِيَّاتُ لا تليق إلا بذوى الضمائر، وليس بذى ضمير فى نفسه. خَرَقَ عِلْمُهُ باطِنَ غَيبِ السُّتُرَاتِ (٦٢)

وأحاط بغُمُوص عقائدِ السريرات.

وصلى الله على النبى وآله وسلم، إختارَهُ من شجرة الأنبياءِ، ومشكاةِ الضياء، وذؤابَه (٦٣) العلياء، وسُرَّةِ البطحاءِ (٦٤)، ومصابيح الظُّلْمَةِ، وينابيع الحكمة.

(٥٨) قاصف: الريح القوية تكسر كل ماتمر عليه وتقصفه.

(٥٩) يحصد القائم ويحطم المحصود: كناية عن قتل الأمراء من بنى أمية فى الحرب ثم قتل المأسورين منهم صبرا.

(٦٠) شرح نهج البلاغه: ٩٦/٧ ـ ١٠١.

(٦١) خلق الخلق من غير روية: هذا نفي للروية والفكر والتمثيل بين خاطرين، لأن ذلك إنما يكون لأرباب الضمائر والقلوب أولِى النوازع المختلفة والبواعث المتضادة.

(٦٢) خرق باطن غيب السترات: إن علمه خرق باطن الغيوب المستورة غير المكوشفه او غير المرئيه.

(٦٣) الذؤابة: طائفة من شعر الرأس.

(٦٤) سرة البطحاء: اى وسطها وبنو كعب بن لؤى يفخرون على بنى عامر بن لؤى بأنهم سكنوا البطاح وسكنت عامر الجبال المحيطة بمكة.

طَبيبُ دَوَّارُ بطبِّه، قد أحكم مَرَاهِمَهُ، وأحمى مَوَاسِمَهُ (٦٥)، يصنع ذلك حيث الحَاجَةُ إليه، قُلُوبٍ عُمى، وآذَانٍ صُمٍ، وألسِنَةٍ بُكمٍ، مُتَتَبِّع بدوائِه مواضعَ الغفلَةِ، ومواطن الحيرة.

ومن لم يستضيئوا بأضواءِ الحكمة، ولم يقدَحُوا بزناد العلوم الثاقبة، فهم فى ذلك كالأنعام السائمة، والصخور القاسية، قد انجابت (٦٦) السرائر لأهل البصائر ووضحت مَحَجَّةُ (٦٧) الحق لخابطِها (٦٨)، وأسفرت السَّاعَةُ (٦٩) عن وجهها وطهرت العلامة لِمُتَوَسِّمِها.

مالى أراكم أشباحاً بلا أروَاج، وأرواحاً بلا أشباح، ونُسَّكاً بلا صلاح، وتجاراً بلا أرباح، وأيقاظاً نوماً (٧٠) وشُهُوداً غُيّباً، وناظرة عمياء، وسامعةً صماءَ، وناطقة بكماء؛

رايةُ ضلالٍ قد قامت على قطبها، وتفرقت بشعبها، تَكِلُكُمْ بصاعِهَا (٧١) وتَخْبِطُكُمْ بباعِها (٧٢)، قائدها خارجُ منّ المِلَّة، قائمُ على الضَّلَّة، فلا يبقى يومئذٍ منكم إلا ثُفَالَةُ (٧٣) كثفالة القِدْرِ، أو نُفَاضةٌ (٧٤) كنفاضة العِكم (٧٥)،

(٦٥) المراهم: الأدوية المرتبة للجراحات والقروح. والمواسم: حدائدُ يُوسم بها الخيل وغيرها.

(٦٦) انجابت: أى انكشفت

(٦٧) محجه: أى طريق.

(٦٨) خابطها: الخابط السائر على غير سبيل واضحة.

(٦٩) أسفرت الساعة: أى أضاءت وأشرقت

(٧٠) إيقاظا نوما: أى متيقظون ولكنهم غفول عن الحق كالنيام.

(٧١) تَكِيلُكُم بصاعها: تكيل لكم، أو توزن لكم، والمعنى تحملكم على دينها ودعوتها، أو المقصود بها يقهركم أربابها على الدخول فى أمرهم ويتلاعبون بكم، ويرفعونكم ويضعونكم كما يفعل كيال القمح إذا كال بضاعة

(٧٢) تخبطكم بباعها: أى تظلمكم وتعسفكم.

(٧٣) ثفالة: ما ثفل فى القِدر من الطبيخ وباللغة العامية ثفل.

(٧٤) نفاضه: ماسقط من الشىء المنفوض.

(٧٥) العكم: العدل، والعكم أيضا نَمطٌ تجعل فيه المرأة ذخيرتها.

تعرُكُكُم عَركَ [٧٦] الأَديم، وتدُوسكُم دَوْسَ الحصيد، وتستخلص المؤمنَ من بينكم استخلاصَ الطَّيرِ الحبَّة البطينة من بين هزيل الحبِّ.

أين تَذهَبُ بكُمُ المذاهبُ، وتتيهُ بكم الغياهبُ [٧٧]، وتَخْدَعُكُمُ الكَوَاذبُ؟ [٧٨] ومن أيْنَ تُؤْتَوْن؟، وأنَّى تُؤفَكُون؟؛ فلكُلِّ أجَل كِتَابُ، ولِكُلِّ غيبة إيابُ. فاستمعوا من رَبَّانِيِّكُمْ [٧٩]، وأحضرُوهُ قُلُوبَكُم، واستيقظوا إن هتف بكم، وليصدق رَائِدُ أهلَهُ، وليجمع شمَلَهُ وليحضر ذهنهُ، فلقد فَلَقَ [٨٠] لكم الأمْرَ فَلْقَ الخرزَةِ، وقَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ [٨١].

فعند ذلك أخَذَ الباطِلُ مآخِذهُ، ورَكِبَ الجهل مراكِبَهُ، وعظمت الطاغيَةُ وقلَّتِ الداعِيَةُ، وصَالَ الدهرُ صِيَالَ السبع العقور، وهَدَرَ [٨٢] فَنِيقُ [٨٣] الباطل بعد كُظُوم [٨٤]، وتواخى [٨٥] الناس على الفجور، وتهاجروا على الدين، وتحابُّوا علَى الكَذِبِ، وتباغضوا على الصِّدق. فإذا كان ذلك الولدُ غيظاً، والمطَرُ قيظاً [٨٦]، وتفيض اللئام فيضاً، وتغيض الكرام غيضاً [٨٧]

(٧٦) تعرككم عرك: عركت الشيء أي دلكته بقوة.

(٧٧) الغياهب: الظلمات (جمع غيهب: ظلمة).

(٧٨) الكواذب: ها هنا الأماني.

(٧٩) ربانيكم: الربانى هو الذى أمرهم بالاستماع منه إنما يعنى به نفسه عليه السلام، ويقال: رجل ربانى: أى عارف بالرب سبحانه.

(٨٠) فلق: أى شق هذا الربانى ماكان مبهما، وفتح ماكان مغلقا.

(٨١) قرفه قرف الصمغة: أى قشره كما تقشر الصمغة عن عود الشجرة وتقلع.

(٨٢) هدر: ردد صوته فى حنجرته.

(٨٣) فنيق: فحل الإبل.

(٨٤) كظوم: الإمساك والسكوت.

(٨٥) تواخى الناس: صاروا إخوة، والأصل تآخى الناس.

(٨٦) الولد غيظا والمطر قيظا: الولد غيظا: أى كثرة عقوق الأبناء للآباء، وصار المطر قيظا كل وذلك من علامات الساعة.

(٨٧) معنى هذا الكلام كثرة اللئام وذهاب الكرام.

وكـان أهل ذلك الزمـان ذئاباً، وسـلاطينُـهُ سبـاعـاً، وأوسـاطُهُ أكـالاً، وفقـراؤه أمـواتاً، وغـار الصـدق، وفـاض الكذب واسـتُـعـملَتِ المودَّةُ باللسـان، وتشـاجـر الناس بالقلوب، وصـار الفُسُوقُ نسبـاً، والعـفـافُ عـجبـاً، ولبس الإسـلام لُبْسَ الفَرْوِ مقلُوباً.) (٨٨)

فيا عجبا

إن الفتنة التى اندلعت فى عصر على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان لها سبب وجيه هذا السبب، هو ما سنعرفه إن شاء الله فى هذه الخطبة، لذا أرجو ان نقرأها بتمعن وتفحص.

بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال:

نص

(أمـا بعد فـإن لم يَقْصِمْ جَبَّارى دَهـرٍ قَطُّ إلا بعـد تَمْهِيل ورَخَـاء، ولم يَجْبُرْ عَظمَ أحدٍ من الأمم إلا بعد أزلٍ وبلاءٍ، وفى دُون ما استَقبلْتُم فى عتبٍ ومـا اسـتـدبرتُم من خطبٍ مُعْتَبَرٌ. ومـا كُلُّ ذى قلب بلَبِـيبٍ ولا كُلُّ ذى سَمْعٍ بسميع، ولا كل ذى ناظرٍ ببصيرٍ.

فيا عجبا؛ وما لى لا أعجبُ من خطإ هذه الفرقِ على اختلافِ حُجَجِهاَ فى دينها، لا يقتصُّون أثر لنبى، ولا يقتدون بعَمَلِ وصىٍ، ولا يؤمنون بغيب، ولا يَعفونَ عن عيب، يعملونَ فى الشبهات، ويسيرونَ فى الشهوات، المَعْرُوفُ فيهم مـا عَـرَفُـوا، والمُنْكرُ عِنْدَهُم مـا أنكرُوا، مـفـزعُـهُـم فى المُعـضِـلاَت (٨٩) إلى أنفسهم، وتَعْويلُهُم فى المُهِمَّاتِ على آرائهِمْ، كأن كُلَّ امرئٍ منهم إمَامُ نفسِـهِ،

(٨٨) شرح نهج البلاغة: ٧/١٨١ ـ ١٩٣.

(٨٩) مفزعهم فى المعضلات: أى مفزعهم فى الأمور المشكلة.

قد أخذَ منها فيما يرى بِعُراً ثِقَاتٍ وأسبَابٍ مُحْكَمات) (٩٠)

هذه الخطبة أوضحت لنا جيداً لما اندلعت الفتنة، وما هو حال القائم بأعمال الفتنة، وأوضحت لنا أمراً هاماً جداً نراه فى عصرنا هذا.

هذا الأمر هو السير بالهوى واتباع الشهوات، وكثرة العلماء.....!

بالطبع لا أقصد بكثرة العلماء المدح ولكنى أقصد التعجب والتهكم والاستياء، ففى عصرنا هذا عندما تسأل أى إنسان فى أمر دينى، تجد الرد فى الحال وكأنه عالم فى هذا الأمر، ونسى أن الدين لا يؤخذ بالهوى، وإنما الدين أحكام يجب أن نتحرى فيها قول الله ثم ما قاله رسول الله ﷺ ثم الإجماع، ثم القياس، ثم الاجتهاد، نسى أن الدين عندما يُفتَى فيه بدون علم، يكون هذا ضياع للسائل والمسؤول.

واسمحوا لى أن أعرض عليكم شرحاً بسيطاً لجزء من الخطبة هذا الشرح جاء فى كتاب شرح نهج البلاغة، وسبب عرضى له هو التماس الصواب والحق، والله الموفق.

(ثم قال: المعروف فيهم ما عرفوه، أى: ليس المعروف عندهم ما دلَّ الدليل على كونه معروفا وصوابا وحَقًّا، بل المعروف عندهم ما ذهبوا إلى أنه حق، سواء كان حقا فى نفس الأمر أو لم يكن، والمنكر عندهم ما نكروه كما شرحناه فى المعروف.

ثم قال: إنهم لا يستشيرون بعالم، ولا يستفتون فقيها فاضلا. بل مفزعهم فى الأمور المشكلة إلى أنفسهم وآرائهم، ولقد صدق عليه السلام، فإن هذه صفات مَنْ يدعى العلم والفضل فى زماننا وقبله بدهر طويل، وذلك أنهم يأنفون من التعلم والاسترشاد، فالبادئ منهم يعتقد فى نفسه أنه أفضل من

(٩٠) شرح نهج البلاغة: ٦/٣٨٤.

البارع المنتهى، ومتى ظفر الواحد منهم بمبادىء علم وحمله، شرع فى التدريس والتصنيف، فمنعه التزامه بذلك من التردد إلى أبواب العلماء، وأنف من سؤالهم عن الأمور المشكلة، فدام جهله إلى أن يموت) [٩١]

أجل معدود

فى هذه الخطبة يبين لنا الإمام على رضي الله عنه حال أهل الأهواء، ومدى غرورهم، وما هو المصير بعد هذا الغرور، فالقائم على الفتنة يجهل، أن الدنيا أياما معدودة، ومن يعلم ذلك فعليه بالرجوع إلى الحق.

وحتى لا أطيل ، فبعد أن حمد الإمام ربه، وأثنى عليه وصلى على نبيه قال:

نص

(أرسَلَهُ على حين فَتْرَةٍ من الرُّسُل، وطُول هَجْعَةٍ [٩٢] من الأُمم واعتزام من الفتن، وانتِشار من الأمور، وتَلَظ [٩٣] من الحروب، والدُّنيا كاسِفَةُ النور [٩٤] ظاهرةُ الغرور، على حين اصفرار من ورقها، وإياس من ثمرها، وإغوار [٩٥] من مائها. قد دَرَسَتْ مَنَارُ الهُدَى، وظَهَرَت أعلامُ الرَّدى، فهى مُتَجَهِّمَةُ لأهلها، عَابسَةُ فى وجه طالبِهاَ، ثَمَرُهاَ الفتنةُ، وطعامُهَا الجيفةُ، وشعارُهاَ الخوف، وَدِثَارُهاَ السَّيْفُ.

فاعتبروا عِبَادَ الله، واذكروا تيك التى آباؤكُم وإخوانُكم بها مُرتَهَنُونَ، وعليها محاسبون. ولعَمْرى ما تَقَادَمَتْ بكُمْ ولا بهمُ العُهُودُ، ولا خَلَتْ فيما بينكم وبينهم الأحقابُ والقُرُونُ، وما أنتم اليومَ من يَوْم كنتم فى أصلابهم ببعيد.

(٩١) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد: ٦/٣٨٦.

(٩٢) هجعة: النَّومة ليلاً. (٩٣) تلظ: التلظى هو التلهب.

(٩٤) كاسفة النور: أى ذهب ضوؤها. (٩٥) إغوار: أى ذهاب، غار الماء: أى اختفى وذهب.

والله ما أسمعكُمُ الرَّسُولُ شيئاً إلا وَهاَ أنا ذا اليوم مُسمِعُكُمُوهُ، وما أسماعُكُمُ اليوم بدُون أسماعِكُم بالأمس، ولا شُقَّتْ لَهُمُ الأبصَارُ ولا جُعلتْ لهُمُ الأفئدةُ فى ذلكَ الزمان، إلا وقد أُعطيَتُم مثْلَهَا فى هذا الزَّمَان، ووالله ما بُصِّرتُمْ بَعْدَهُمْ شيئاً جَهِلُوهُ، ولا أصفيتُمْ فلا يَغُرَّنَّكُمْ ما أصْبَحَ فِيهِ أهلُ الغَرُورِ، فإنما هو ظِلٌّ ممدُودُ إلى أجَلٍ مَعْدُودٍ) (٩٦)

اللهم سئمتهم وسئمونى

بعد كل هذه الخطب، خطب على بن أبى طالب رضي الله عنه الناس، بعد أن يئس منهم، واشتد عليه أمرهم، وأراد تركهم، وطلب من الله أن يريحه منهم. فقال:

نص

(نبئت أن بسراً قد طلع اليمن وإنى والله لأحسب هؤلاء القوم سيظهرون عليكم، وما يظهرون عليكم إلا بعصيانكم إمامكم وطاعتهم إمامهم، وخيانتكم وأمانتهم، وإفسادكم فى أرضكم وإصلاحهم، قد بعثت فلاناً فخان وغدر، وبعثت، فلاناً فخان وغدر، وبعث المال إلى معاوية. لو ائتمنت أحدكم على قدح لأخذ عُلاقته،

اللهم سئمتهم وسئمونى، وكرهتهم وكرهونى، اللَّهم فأرحهم منى وأرحنى منهم) (٩٧)

فما صلى الجمعة الأخرى حتى قتل رضي الله عنه وأرضاه.

وهذه آخر خطبة فى فصل «خطب الفتنة» وإليكم الإفادة من هذا الفصل إن شاء الله.

(٩٦) شرح نهج البلاغة: ٦/٣٨٧. (٩٧) البداية والنهاية للعلامة ابن كثير: ٧/٣٠٩.

الإفادة

أرى الكثير ممن يعملون فى ميدان الخطابة، يقولون: إن الإفادة فى فصل (خطب الفتنة) ليست مهمة، فلن يكون لأحد منا الوزارة او الإمارة، لذا لا داعى من الإفادة، وهنا سأرد رداً بسيطاً، هذا الرد هو الخطيب سيُسأل من قبل الملك والوزير فكيف سيرد إن لم يقرأ فى أمور مماثلة؟

هذا رد، والرد الثانى: هو فلنطرح جميعاً خطب الفتنة على الناس حتى يعلموها فيحاولوا بقدر الإمكان اجتناب حدوثها، وحتى لا أطيل عليكم فهيا بنا نضع الإفادة ونلخصها فى عدة أمور هى:

●● الأمر الأول: الخديعة بالدين

هذا الأمر هام جداً، فقد ينخدع الداعية، وقد ينخدع الناس، بأُناس يتحدثون بالدين وهم يريدون قصم ظهر الإسلام، وقد اتضح لنا ذلك فى أمر الخوارج، ولنراجع سويا خطبة «صدق الله» التى بين فيها على بن أبى طالب رضي الله عنه أمر الخوارج، وفيها إشار أنهم يصلون ويصومون ويقرأون القرآن، ويلحنون فى الحجة، غير أن قلوبهم سوداء وأفعالهم غبراء، لا يريدون إلا ضرب عصا الإسلام، يقولون الحق ولا يريدون به إلا الباطل.

هؤلاء الخوارج لم يقض عليهم فى عصر على بن أبى طالب رضي الله عنه، وإنما هم موجودون إلى قيام الساعة، وسأضرب مثلاً حياً لهم فى عصرنا هذا.

«قد يقوم الداعية فيخطب فى الناس قائلاً: إن الاستنساخ حرام وينبغى علينا ترك هذه التجارب وعدم الاستمرار فيها...؛

فيرد عليه أحد الحاضرين، هذا الحاضر مشهود له بالصلاة والصيام والورع والتقوى أى بمعنى آخر: (مصدر ثقة عند الآخرين) قائلا: سبحان الله

إن الإسلام لا يحرم العلم فالإسلام نزل من أجل العلم والتعلم وهو الدين الذى يحث أهله على تناول العلوم فكيف تحرم علم الاستنساخ؟

فيسكت الداعية لسببين: **السبب الأول**: هو ابتداء هذا الحاضر بكلمة سبحان الله ومعنى ذلك أنه يريد الحق، **والسبب الثانى:** أن هذا الرجل مصدر ثقة عند الآخرين، فيخش الداعية أن يناقشه فتكون الهزيمة معه.)

هذا المثل قد نراه فى أمور كثيرة فى عصرنا، ولكنى اكتفيت به، وينبغى على الداعية أن يتخلص من هؤلاء ، بمقدمة خطبة «صدق الله» والأحاديث التى بعدها. يقولونها: أولا حتى يصنع إقناعاً للناس أنه ليس شرط أن يكون هذا الشخص الطاعن رغم صلاته، وصيامه، وقيامه مؤمن، فقد يكون دسيسة أخطر من الكافر، لأن الكافر معلوم بكفره أما هذا فهو كسوس ينخر فى عصا الإسلام، ثم يعرض الداعية الحجة الدامغة فى الأمر الذى يتحدث فيه وبهذا سيكون اقتناع الناس إن شاء الله.

أما ان بدأ الداعية بعرض الحجة قبل أن يذكر مقدمة خطبة الإمام عَلِيٍّ فقد يدخل فى نقاش جدلى الله أعلم بنهايته.

●● الأمر الثانى: الحق لا يقوم إلا بأهله

هذا الأمر ينبغى أن يعلمه الداعية، ويعلمه للناس، فبعض الناس يقولون نحن على الحق ولكننا منهزمون ضائعون، وأهل الكفر لهم شوكة، واهل الباطل قد أقاموا الدول القوية؟

ولكى يرد الداعية على هذا السؤال فليذكر الناس بخطبة على بن أبى طالب رضي الله عنه التى وضعت تحت عنوان «**لا دين يجمعكم**» وفى هذه الخطبة بيان أن الحق لا يقوم إلا بتمسك أهله وترابطهم والتزامهم بصفوف الإسلام والمسلمين، وأن الباطل قد ينتصر إن تفكك أهل الحق وصاروا ضعفاء، وكان

أهل الباطل على ترابط وائتلاف وتجمع.

فلنعد قراءة الخطبة جيداً وسنجد إن شاء الله صدق ما قد قلت والله الموفق.

●● الأمر الثالث: كثرة العلماء

من الواضح أن هذه الشكوى لم تكن فى عصرنا فقط، بل كانت فى العصورالسابقة، فلقد اشتكى من هذه الشكوى الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه ولقد ذكر فى خطبته «فيا عجبا!».

أرجو من الله أن يذكر كل الدعاة هذه الخطبة على المنابر وفى الدروس، لأننا نجد فى عصرنا هذا كثرة العلماء...!

بالطبع لا أقصد بكلمة كثرة العلماء إلا السخرية والتهكم، هذه الظاهرة كثرت فى عصرنا، عندما تسأل عن أى شىء فى الدين، تجد الرد سريعا، وكأن الجميع تحول إلى علماء.

لذا أرجو من الله أن تقل بل تختفى ظاهرة الإفتاء بدون علم، واتباع الشهوة فى الرأى، فإن اختفت هذه الظاهرة، وانتشرت ظاهرة التعلم سنحصل على مجتمع يدرس الإسلام دراسة جيدة فيقوم على أرض صلبة.

وأخيرا اللَّهم إنا نسألك العلم النافع الذى يقود فى الدنيا إلى القوام ويقود فى الآخرة إلى الجنات، اللَّهم آمين.



الفصل الثانى

خطب المواعظ

خطبة أوصيكم بتقوى الله.

خطبة لا تكذبوا على.

خطبة المدينة حرم ما بين عَير إلى ثور

خطبة (أحسنت)

خطبة لحوم النسك

خطبة الأمراء من قريش

خطبة وضوء من لم يحدث

خطبة يوشك أن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه

خطبة رَكِبَ الطريقة الغرَّاء

خطبة الموت ليس منه فوت

خطبة الدنيا قد أدبرت

خطبة مرافقة الأنبياء

خطبة اعلموا إنكم ميتون

خطبة ما تبكون

خطبة يا رهائن الموت!

خطبة خير من بقى

خطبة زمان عضوض

خطبة غداً حساب ولا عمل

خطبته الغراء

الإفادة

الأمر الأول: الحدود رحمة

الأمر الثانى: رحمة فى رحمة

الأمر الثالث: العشيرة



الفصل الثانى
خطب المواعظ

بعد أن وفقنا الرحمن من فصل خطب الفتنة، سنبدأ سويا فى كتابة وقراءة خطب المواعظ، وقبل كتابة هذه الخطب أُعلمكم ونفسى، أن الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه، كان أبلغ الخطباء، واسع المدارك، على قدر عظيم من العلم، فكان المرجع لأغلب المسائل الفقهية، وكان الأستاذ فى إلقاء الخطبة العطرة الندية، لأنها تخرج من لسان فصيح، وقلب تقى، وعقل ذاكر، وجسد صابر، ونفس مطمئنة، وحتى لا أطيل عليكم، هيا بنا سويا لننعم بخطب الإمام رضي الله عنه.

أوصيكم بتقوى الله

قال الهيثم بن عدى فى كتابه الذى جمعه فى الخوارج، وكذا ذكر عيسى ابن دآب قال:

قام على رضي الله عنه خطيبا فقال:

نص

(الحمد لله فاطر الخلق، وفالق الإصباح، وناشر الموتى، وباعث من فى القبور، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأوصيكم بتقوى الله، فإن أفضل ما توسل به العباد الإيمان والجهاد فى سبيله، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فإنها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها من فريضته، وصوم شهر رمضان فإنه جُنَّة [1] من عذابه، وحج البيت فإنه منفاة

---

(٦) جُنَّة: حصن ، واقٍ

للفقر مَدْحَضَةُ للذنب، وصلة الرحم فإنها مَثْرَاة فى المال مَنْسأة فى الأجل مَحَبَّةَ فى الأهل وصدقة السر فإنها تُكَفِّرُ الخطيئة وتطفئُ غضب الربِّ، وصنع المعروف فإنه يدفع ميتة السوء ويقى مصارع الهول، أفيضوا فى ذكر الله فإنه أحْسَنُ الذكر، وارغبوا فيما وعد المتقون فإن وعد الله أصدَقُ الوَعْدِ، واقتدوا بهدى نبيكم ﷺ فإنه أفضلُ الهدى، واسْتَسِنُّوا بسُنَّتِهِ فإنها أفضل السنن، وتعلموا كتاب الله فإنه أفضلُ الحديث، وتفقهوافى الدين فإنه ربيع القلوب، واستشفُوا بنوره فإنه شفاء لما فى الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص، وإذا قرئ عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون، وإذا هديتم لعلمه فاعملوا بما علمتم به لعلكم تهتدون، فإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الجائر الذى لا يستقيم عن جهله، بل قد رأيت أن الحجة أعظم والحسرة أدومُ على هذا العالم المنسلخ من علمه على هذا الجاهل المتحير فى جهله، وكلاهما مضلل مثبور، ولا ترتابوا فتشكوا ولا تشكوا فتكفروا ولا ترخصوا لأنفسكم فتذهلوا ولا تذهلوا فى الحق فتخسروا، ألا وإن من الحزم أن تثقوا ومن الثقة ألا تغتروا، وإن أنصحكم لنفسه أطوعُكُمْ لربِّه، وإنَّ أغَشَّكُمُ لنفسه أعصاكم لربه، ومن يطع الله يأمن ويستبشر، ومن يعص الله يَخَفْ ويَنْدَمْ، ثم سَلُوا الله اليقين وارغبوا إليه فى العافية، وخير ما دام فى القلب اليقين إن عوازم الأمور أفضلُها، وإنَّ محدثاتها شرارُها وكل محدث بدْعَةُ وكل محدث مبتدع ومن ابتدع فقد ضيع، وما أحدث محدث بدعةً إلا ترك بها سنة، المغبونُ من غُبنَ دينه، والمغبون من خَسِرَ نفسه، وإن الرياء من الشرك، وإن الأخلاص فى العمل من الإيمان، ومجالس اللهو تنسى القرآن، ويحضرها الشيطان، وتدعو إلى كل غى، ومجالسة النساء تُزيغُ القلوب، وتطمح إليه الأبصار، وهى مصائد الشيطان، فاصدُقُوا الله فإن الله مع من صدق، وجانبوا الكذب فإن الكذب مجانبُ للإيمان، ألا إن الصدق على شرف منجاة وكرامة، وإن الكذب على سَرف ردِّى وهلكة، ألا؛ وقولوا

الحقَّ تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله، وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم وصِلُوا أرحام من قطعكم، وعودوا بالفضل على من حَرَمَكُم، وإذا عاهدتم فأوفوا، وإذا حكمتم فاعدلوا، ولا تفاخروا بالآباء، ولا تنابزوا بالإلقاب، ولا تمازحوا، ولا يغصب بعضكم بعضا، وأعينوا الضَّعِيفَ والمظلوم والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب، وارحموا الأرملة واليتيم، وأفشوا السلام وردوا التحية على أهلها بمثلها أو بأحسن منها ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة: ٢).

وأكرموا الضعيف، وأحسنوا إلى الجار، وعودوا المرضى، وشيعوا الجنازة وكونوا عباد الله إخوانا:

أما بعد...!

فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع وإن الآخرة قد أظلَّت وأشرفت بإطلاع، وإن المضمار اليوم وغداً السباق، وإن السبقة الجنة والغاية النار، ألا؛ وإنكم فى أيام مهل من ورائها أجل يحثه عجل، فمن أخلص لله عمل فى أيام مهله قبل حضور أجله فقد أحسن عمله ونال أمله، ومن قصر عن ذلك خسر عمله وخاب أمله وضره أمله، فاعملوا فى الرغبة والرهبة فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا الله واجمعوا معها رهبة. وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة فإنَّ الله قد تأذن المسلمين بالحسنى ولمن شكر بالزيادة، وإنى لم أر مثل الجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربُها، ولا أكثر مكتسباً من شىءٍ كسبه ليوم تدخر فيه الذخائر وتبلى فيه السرائر وتجمع فيه الكبائر، وإنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل ومن لا يستقم به الهدى يجر به الضلال، ومن لا ينفعه اليقين يضره الشك، ومن لا ينفعه حاضره فعازبه عنه أعور وغائبه أعجز، وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد، ألا؛ وإن أخوف ما أخاف عليكم اثنان:

طول الأمل... واتباع الهوى.... فأما طولُ الأمل: فينسى الآخرة، وأما اتباع الهوى: فيبعد عن الحق، ألا؛ وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة إن استطعتم ولا تكونوا من بنى الدنيا، فاليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل) (٢)

لا تكذبوا على

حدثنا محمد بن المثنى، وابن بشار قالا: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور عن ربعى بن حراش: أنه سمع عَلِيًا رضي الله عنه يخطب قال:

نص

(قال رسول الله ﷺ: لا تكذبوا عَلَىَّ فإنه من يكذب عَلَىَّ يلج النار) (٣)

المدينة حرم ما بين عير إلى ثور

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة، وزهير بن حرب، وأبو كريب جميعاً عن أبى معاوية: قال أبو كريب: حدثنا أبو معاوية. حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمى، عن أبيه قال: خطبنا على بن أبى طالب، فقال:

نص

(من زَعَمَ أَنَّ عندنا شيئاً نقرَأُهُ إلا كتَابَ الله وهذه الصحِيفَةَ. (قال: وصَحِيفَةٌ معلقةٌ فى قِرَابِ سيفه) فقد كَذَبَ. فيها أسنان الإبلِ. وأشياء من

(٢) البداية والنهاية للعلامة ابن كثير: ٧/٢٩١ ـ ٢٩٣ وكذا حياة الصحابة للكاندهلوى: ٤/٢٥٣ ـ ٢٥٥

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى: ١/١٩٩، ومسلم بشرح النووى: ١/٢٢١، والترمذى: ٥/٣٥، وابن ماجه: ١/١٣، جامع المسانيد والسنن: ١٩/١٩٥

الجِرَاحَاتِ. وفيها قالَ النبى ﷺ: «المدينةُ حَرَمٌ ما بين عَيْرٍ إلى ثَوْرٍ. فمن أحدَثَ فيها حَدَثاً. أو آوى مُحدِثاً. فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناس أجمعين. لا يَقْبَلُ الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً. وذِمَّةُ المسلمين واحدةٌ يسعى بها أدناهُمْ. ومن ادَّعَى إلى غَيْرِ أبيه أو انتمى إلى غير مواليه. فعليه لَعْنَةُ الله والملائكةِ والناس أجمعين. لا يَقْبَلُ الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلاً.) (٤)

أحسنت

حدثنا محمد بن أبى بكر المُقَدَّمِىُّ. حدثنا سليمان أبو داود حدثنا زائدَةُ عن السِّدِّىِّ، عن سعد بن عبيدة، عن أبى عبد الرحمن قال: خطب عَلِىٌّ فقال:

نص

(يا أيها الناسُ...؛

أقيموا على أرقَّائكمُ الحَدَّ. من أحصَنَ منهم ومن لم يُحْصِنْ. فإن أمَةً لرسول الله ﷺ زَنَتْ. فأمرنى أن أجلدها. فإذا هى حَدِيثُ عَهْدٍ بِنِفَاسٍ. فخشيت، إن أنا جَلَدتُها، أن أقتلها.

فذكرت ذلك للنبى ﷺ فقال: «أَحسنت».) (٥)

---

(٤) رواه البخارى فى فضائل المدينة حديث رقم (١٨٧٠)، انظر فتح البارى: ٤/٨١، ورواه الإمام مسلم باب فضل المدينة ودعاء النبى ﷺ فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمها حديث رقم (٣٢٦٨) مسلم بشرح النووى: ٤/٩٠٠، ورواه النسائى فى الحج فى الكبرى على ماجاء فى التحفة: ٧/٤٥٨، وجامع المسانيد والسنن: ٣٠/٢٥٠.

(٥) صحيح مسلم باب تأخير الحد عن النفساء حديث رقم (٤٣٧٠) انظر مسلم بشرح النووى ٥/٥٩٠، ورواه الترمذى في الحدود حديث رقم (١٤٤١) باب ماجاء فى إقامة الحدود على الإمام: ٤/٤٧

هذه الخطبة لها تفسير عظيم جداً هذا التفسير هو أن الحدود لم تجعل الا للرحمة بين الناس، وسيسأل الكثيرون الرحمة، كيف؟ والحدود فى الاساس إقامة لعذاب بدنى على الفرد، وللرد على هذا السؤال اسمحوا لى ان اقول لو كان الغرض وقوع الضرر البليغ من أجل ردع الفاعل، فلما قال رسول الله ﷺ لعلى رضي الله عنه أحسنت، فكروا جيداً ودعونا نؤخر شرح هذه الكلمة الى الإفاده

لحوم النسك

هذه الخطبة هامه جداً فهى تشتمل على حكم فقهى ولكن الحكم الموجود داخل الخطبة فيه كلام ونظر، ولقد رأيت ان اذكر الخطبة ان شاء الله، ثم اذكر الحكم الشرعى حتى اذا وجدنا هذه الخطبة فى أى مرجع لا يحدث عندنا التباس او فهم خاطىء لهذا الحكم والله الموفق.

حدثنا الزهرى عن أبى عبيد قال: شهدت العيد مع على بن أبى طالب فبدأ بالصلاة قبل الخطبة. وقال:

نص

(إن رسول الله ﷺ نهانا أن نأكل من لحوم نُسُكِنَا بعد ثلاث)

وهناك نص آخر وهو:

(إن رسول الله ﷺ قد نهاكم أن تأكلوا لحوم نسككم فوق ثلاث ليال فلا تأكلوا) (٦)

(٦) الحديث رواه الجماعة أى: أصحاب الكتب الستة: ورواه الإمام أحمد فى مسنده: ١٤١/١، وكذا فى جامع المسانيد والسنن: ٢٠/٣٠٣ - ٣٠٥.

ومعنى هذه الخطبة أنه لا يجوز تخزين لحم الأضحية لما بعد ثلاث ليال ولكن فى هذه المسألة كلام، كما سبق وأخبرت، هذا الكلام ما سأنقله لكم إن شاء الله من كتاب «شرح صحيح مسلم بشرح النووى» وهو للعلامة النووى حيث قال:

(قال القاضى: اختلف العلماء فى الأخذ بهذه الأحاديث فقال قوم: يحرم إمساك لحوم الأضاحى والأكل منها بعد ثلاث، وإن حكم التحريم باق كما قاله على، وابن عمر، وقال جماهير العلماء: يباح الأكل والإمساك بعد الثلاث، والنهى منسوخ بهذه الأحاديث المصرحة بالنسخ لاسيما حديث بريدة: قال: قال رسول الله ﷺ: «نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها. ونهيتكم عن لحوم الأضاحى فوق ثلاث، فأمسكوا ما بدا لكم» وهذا من نسخ السنة بالسنة؛ وقال بعضهم: ليس هو نسخاً بل كان التحريم لعلة فلما زالت زال لحديث سلمة وعائشة، وقيل: كان النهى الأول للكراهة لا للتحريم، قال هؤلاء: والكراهة باقية إلى اليوم ولكن لا يحرم قالوا: ولو وقع مثل تلك العلة اليوم فرقت دافة واساهم الناس، وحملوا على هذا مذهب على وابن عمر.

والصحيح نسخ النهى مطلقا، وأنه لم يبق تحريم ولا كراهة فيباح اليوم الادخار فوق ثلاث، والأكل إلى متى شاء لصريح حديث بريدة وغيره؛ والله أعلم) (٧)

الأمراء من قريش

حدثنا القراريوى، حدثنا محمد بن عبيد الله العبدى، عن حفص بن خالد العبدى، حدثنى أبى عن جدى عن على، أن رسول الله ﷺ خطب الناس ذات يوم فقال:

---

(٧) مسلم بشرح النووى: ٦/٤٧٩ ـ ٤٨٠.

نص

(ألا إن الأمـراء من قـريش، ألا إن الأمـراء من قـريش، ألا إن الأمـراء من قريش ما أقاموا بثلاث:

ما حكموا فعدلوا

وما عاهدوا فَوَفُّوا

وما استرحموا فرحموا

فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين) (٨)

لعل هذه الخطبة من خطب رسول الله ﷺ، ولكنها جاءت على لسان على ابن أبى طالب رضي الله عنه وأرضاه، ولى عليهـا تعليق هام اسـمحوا لى أن أعـرضه عليكم فى الإفادة إن شاء الله.

وضوء من لم يحدث

قال عبد الله بن أحمد: حدثنا أبو عبيدة بن فضيل بن عباس، وقال لى: هو اسمى وكنيتى حدثنا مالك بن سعيد يعنى ابن الخمس، حدثنا فرات بن أخنف حدثنا أبى عن ربعى بن حراش: أن على بن أبى طالب قام خطيباً فى الرحبة، فحمد الله وأثنى عليه

نص

(ثم قـال مـا شـاء الله أن يقـول: ثم دعـا بكوز من مـاء، فتـمـضـمض منه وتمسح، وشـرب فضل كوزه وهـو قائم، ثم قـال: بلغنى أن الرجل منكم يكره أن يشـرب وهو قـائم، وهـذا وضـوء من لم يحـدث، ورأيت رسـول الله ﷺ فـعل

(٨) جامع المسانيد والسنن: ١٩/١٠٦.

هكذا) [٩]

فى هذه الخطبة حكم فقهى وهو جواز الشرب واقفا، ولقد ذكره العلامة ابن حجر فى «فتح البارى شرح صحيح البخارى» وقال: إن الشرب واقفا جائز على رأى أغلب الفقهاء، والله أعلم.

يوشك أن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه

قال صاحب كتاب حياة الصحابة: أخرج البيهقى عن أبى وائل، قال: خطب على رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الناس بالكوفة فسمعته يقول فى خطبة:

نص

(أيها الناس...؛

إنه من يَتَفَقَّرَ افْتَقَرَ، ومن يعمر يُبْتَلَى، ومن لا يَسْتَعِدَّ للبلاءِ إذا ابتلى لا يصبر، ومن ملك استأثر، ومن لا يستشر يندم، وكان يقول من وراء هذا الكلام: يوشِكُ أن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه، وكان يقول: ألا؛ لا يستحى الرجل أن يتَعلَّم، ومن يسأل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم، مساجدكم يومئذ عامرة وقلوبكم وأبدانكم خربة من الهدى، شر من تحت ظل السماء فقهاؤكم منهم تبدو الفتنة وفيهم تعود، فقام رجل فقال: ففيم يا أمير المؤمنين؛

قال: إذا كان الفقه فى أرذالكم، والفاحشة فى خياركم، والملك فى صغاركم فعند ذلك تقوم الساعة) [١٠]

---

(٩) جامع المسانيد والسنن للعلامة ابن كثير: ١٩/١٩٣ ـ ١٩٤.

(١٠) حياة الصحابة: ٤/٢٥٢ ـ ٢٥٣.

ركب الطريقة الغراء

قال الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه قولا جامعا للنفع من عمل به فاز فى أخراه هذا القول جاء فى إحدى خطبه الشافية فى نظرى لأنها تشفى الصدور، وتنقى الأبدان، وتقود إلى الجنات بأمر الواحد المنان، وحتى لا أطيل عليكم فإليكم نص ما جاء فى إحدى خطبه:

نص

(رَحِمَ الله امرأً سَمِعَ حُكْماً [١١] فوعى [١٢] ودُعِيَ إلى رشادٍ، وأخَذَ بِحُجْزَةِ [١٣] هادٍ فنجا.

رَاقب رَبَّهُ، وخَافَ ذَنْبَهُ، قَدَّم خَالصاً، وعَمِلَ صَالحاً، اكتسب مذخوراً، واجتنب محذوراً. رَمَى غرضاً [١٤].

كَابرَ [١٥] هَوَاه، وكَذَّبَ مُنَاهُ

جَعَلَ الصَّبْرَ مَطيَّةَ نجاته، والتقوى عُدَّةَ وفاته. رَكِبَ الطريقة الغَرَّاء [١٦]. لَزِمَ المحجة البيضاء. اغتنم المهل [١٧]، وبادر الأجل، وتزود من العمل [١٨])

---

(١١) حُكماً: المقصود هنا الحُكم الذى هو من الحكمة وذلك من قوله تعالى ﴿وآتيناه الحُكْمَ صبيا﴾

(١٢) فوعى: أى فحفظ،

(١٣) حُجزة: معقد الإزار، كالحزام فى عصرنا هذا.

(١٤) غرضاً: الغرض مايرمى بالسهام، يقول: رحم الله امرأ رمى غرضاً، أى قصد الحقَّ.

(١٥) كابر: غالب وكابر هواه: أى غلب هواه.

(١٦) الطريقة الغراء: أى الطريقة البيضاء

(١٧) المهل: النظر والتؤدة

(١٨) شرح نهج البلاغة: ١٧٢/٦ ـ ١٧٣.

الموت ليس منه فوت

قال العلامة ابن كثير، عن الأصبغ بن نباته قال: صعد عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذات يوم عَلَى المنبر فحمد الله، وأثنى عليه، وذكر الموت فقال:

نص

(عباد الله الموت ليس منه فوت، إن أقتم له أخذكم، وإن فررتم منه أدرككم، فالنجا النجا، والوحا الوحا [١٨] إن وراءكم طالب حثيث القبر فاحذروا ضغطته وظلمته ووحشته، ألا وإن القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، ألا وإنه يتكلم فى كل يوم ثلاث مرات فيقول:

أنا بيت الظلمة.... أنا بيت الدود... أنا بيت الوحشة

ألا وإن وراء ذلك يوم يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [١٩]

ألا وإن وراء ذلك ما هو أشد منه، نار حرها شديد، وقعرها بعيد، وحليها ومقامعها حديد، وماؤها صديد، وخازنها مالك ليس لله فيه رحمة.

قال: ثم بكى وبكى المسلمون حوله.

ثم قال: ألا وإن وراء ذلك جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين جعلنا الله وإياكم من المتقين، وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم) [٢٠]

---

(١٨) الوحا الوحا: العجلة العجلة، أو السرعة السرعة

(١٩) الحج آية: ٢

(٢٠) البداية والنهاية للعلامة ابن كثير: ٧/٨.

هذه الخطبة: رواها ليث بن أبى سليم عن مجاهد حدثنى من سمع عليا فذكر نحوه.

الدنيا قد أدبرت

قال العلامة ابن كثير فى «كتاب البداية والنهاية»: قال وكيع عن عمرو بن منبه عن أوفى بن دلهم قال: خطب عَلِىٌّ فقال:

نص

(أما بعد...

فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرقت بإطلاع، وإن المضمار اليوم وغدا السباق، إلا وإنكم فى أيام أمل من ورائه أجل، فمن قصر فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد خاب عمله، ألا فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون له فى الرهبة، ألا وإنه لم أر كالجنة نام طالبها، ولم أر كالنار نام هاربها، وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل، ومن لم يستقم به الهدى حاد به الضلال، ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن، وذللتم عن الزاد، ألا أيها الناس إنما الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة وعد صادق، يحكم فيها ملك قادر، ألا إن ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٨).

أيها الناس...!

أحسنوا فى أعماركم تحتفظوا فى أعقابكم، فإن الله وعد جنته من أطاعه، وأوعد ناره من عصاه.

إنها نار لا يهدأ زفيرها، ولا يفك أسيرها، ولا يجبر كسيرها، حرها

شديد، وقعرها بعيد، وماؤها صديد، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل.

وفى رواية: (فإن الهوى يصد عن الحق وإن طول الأمل ينسى الآخرة») [٢١]

مرافقة الأنبياء

إن المال والأهل والعشيرة قوام المجتمع لذا ينبغى أن توضع ضوابط للمال والنفس، وضوابط لمعنى كلمة عشيرة. هذه الضوابط سيتبين لنا من خلالها كيف يمكن تأسيس مجتمع صلب، ولعل هذه الضوابط ما جاءت فى خطبة الإمام على حين قال:

نص

(أما بعد، فإن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقَطْر المطر إلى كل نفس بما قُسِمَ لها من زيادةٍ أو نقصان، فإن رأى أحدكم لأخيه غفيرةً [٢٢] فى أهل أو مال أو نفس فلا تكونن له فتنة، فإن المرء المسلم مالم يغش دناءةً تَظْهَرُ فيخشعُ لها إذا ذُكِرَتْ ويُغرى بها لئام الناس، كان كالفَالِج [٢٣] الياسر[٢٤] الذى ينتظر أول فوزه من قِدَاحِهِ تُوجبُ له المغنم، ويرفعَ عنه بها المغرم.

وكذلك المرؤ السليم البرىء من الخيانة ينتظر من الله إحدى الحُسنيين، إما دَاعِيَ الله فما عند الله خير له، وإما رزق الله، فإذ هو وأهلٍ ومالٍ، ومعه

(٢١) البداية والنهاية: ٧/٨

(٢٢) غفيرة: الغفيره ها هنا بمعنى الزيادة والكثرة

(٢٣) الفالج: الظافر الفائز.

(٢٤) الياسر: الذى يلعب بالقداح المحظوظ دائما والرابح فى لعبه.

دينه وحَسَبُهُ.

إن المال والبنين حرثُ الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة، وقد يجمعهما الله تعالى لأقوام، فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه، واخشوه خشيةً ليست بتَعذْير [٢٥]، واعملوا فى غير رياءٍ ولا سُمْعَة، فإنه من يعمل لغير الله إلى من عَمِلَ لهُ. نسأل الله منازل الشهداء، ومعايشة السعداء، ومرافقة الأنبياء.

أيها الناس....؛

إنه لا يستغنى الرجلُ وإن كان ذا مال عن عشيرته ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهم أعظمُ الناس حَيْطَةً من ورائه، وألمُّهُمْ، وأعطفهم عليه عند نازلة إن نزلت به، ولسان الصدق يجعله الله للمرئ فى الناس خير له من المال يُوَرِّثُهُ غَيْرَهُ.

ألا لا يَعدلَنَّ أحدُكُم عن القَرَابة يرى بها الخصاصَةَ [٢٦] أن يَسُدَّهَا بالذى لا يزيدُهُ إن أمسكه، ولا ينقصه إن أهلَكَهُ. ومن يَقْبضْ يَدَهُ عن عشيرته فإنما تُقْبَضُ منهُ عنهم يَدُ واحدةٌ، وتقبض منهم عنه أيدٍ كَثيرةُ.

ومن تَلِن حاشيَتُهُ يَسْتَدِمْ من قَوْمِهِ المَوَدَّةَ) [٢٧]

اعلموا أنكم ميتون

ذكر الإمام العلامة ابن الجوزى فى كتابه «صفة الصفوة»: أن على بن أبى طالب رضي الله عنه وأرضاه خطب الناس فقال:

(٢٥) ليست بتعذير: أى: ليست بذات تعذير، أى تقصير.

(٢٦) الخصاصة: الفقير

(٢٧) شرح نهج البلاغة: ٣١٢/١ ـ ٣١٤.

نص

(الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليزيح [٢٨] به علَّتَكُمْ وليوقظ به غفلتكم، واعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها، خلا تغرنكم الحياة الدنيا فإنها دار بالبلاء محفوفة، وبالفناء معروفة، وبالغدر موصوفة، وكل ما فيها إلى زوال وهى ما بين أهلها دُوَلٌ وسيجالٌ، لن يسلم من شرِّها نزالها، بين أهلها فى رخاء [٢٩] وسرور إذا هم منها فى بلاء وغرور، العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم، وإنما أهلها فيها أغراض [٣٠] مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها، عباد الله....؛

إنكم وما أنتم من هذه الدنيا من سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعماراً وأشد منكم بطشاً وأعمر دياراً وأبعد أثاراً فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر [٣١] والنمارق [٣٢] الممهدة الصخور والأحجار المسندة فى القبور الملاطية الملحدة التى قد بين الخراب فناؤها وشيد بالتراب بناؤها، فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين، لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار، وكيف يكون بينهم تواصل

(٢٨) ليزيح: أى ليزيل

(٢٩) رخاء: أى سعة فى العيش.

(٣٠) أغراض: جمع غرض وهو الهدف.

(٣١) السرر: هى جمع سرير

(٣٢) نمارق: جمع نمرقة والنمرقة هى الوسادة.

وقد طحنهم بكلكه البلى وأكلتهم الجنادل (٣٣) والثرى؟

فأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد غضارة (٣٤) العيش رُفَاتاً، فجع بهم الأحباب وسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم إياب، هيهات هيهات؛ كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون فكأن قد صِرْتُمْ ثُمَّ إلى ما صاروا عليه من الوحدة والبلى فى دار الموتى، وارتهنتهم فى ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو قد تناهت الأمور، وبعثرت القبور، وحصل ما فى الصدور، وأوقفتم للتحصيل بين يدى ملك جليل؟

فطارت القلوب لإشفاعها (٣٥) من سالف الذنوب، وهتكت عنكم الحجب والأستار فظهرت منكم العيوب والأسرار، هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى، ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩).

جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه متبعين لأوليائه حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله إنه حميد مجيد) (٣٦)

ما تبكون

قال أبو نعيم: حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسين قال: كتب إلى أحمد ابن إبراهيم بن هشام الدمشقى ثنا أبو صفوان القاسم بن يزيد بن عوانة عن ابن حرث عن ابن عجلان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أن عليا شيع جنازة فلما وضعت فى لحدها عج أهلها وبكوا فقال:

(٣٣) الجنادل: الصخور العظيمة.

(٣٤) غضارة: طيب العيش ولذته.

(٣٥) لإشفاعها: تخوفها.

(٣٦) صفة الصفوة لابن الجوزى: ١/١٢٤

نص

(ما تبكون؟ أما والله؛ لو عاينوا ما عاين ميتهم لأذهلتهم معايشهم عن ميتهم وإن له فيهم لعودة ثم عودة حتى لا يبقى منهم أحد، ثم قام فقال: أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذى ضرب لكم الأمثال وَوَقَّتَ لكم الآجال، وجعل لكم أسماعاً تعى ماعناها وأبصاراً لتجلوا عن غشاها وأفئدة تفهم ما دهاها فى تركيب صورها، وما أعمرها فإن الله لم يخلقكم عبثا ولم يضرب عنكم الذكر صفحاً بل أكرمكم بالنعم السوابغ وأرفدكم بأوفر الروافد [٣٧] وأحاط بكم الإحصاء وأرْصَدَ لكم الجزاء فى السراء والضراء، فاتقوا الله عباد الله؛

وجدُّوا فى الطلب وبادروا بالعمل مُقَطِّعَ النهمات وهادم اللذات، فإن الدنيا لا يَدوم نعيمها ولا تُؤْمَنُ فجائعُها، غرورٌ حائل وشبح فائل [٣٨] وسناد مائل، يمضى مستطرفاً ويردى مستردفاً بأتعاب شهواته وختل تراضعها، اتعظوا عباد الله بالعبر، واعتبروا بالآيات والأثر، وازدجروا بالنذر وانتفعوا بالمواعظ، فكأن قد عَلِقَتْكُمْ مخالبُ المنية، ومنكم بيتُ التراب، ودهمتكم مفظعاتُ الأمور بنفعة الصُّور وبعثرة القبور، وسياقة المحتسر، وموقف الحساب بإحاطة قدرة الجبار، كلُّ نفس معها سائق يسوقها لمحشرها وشاهدُ يشهد بعملها ﴿وأَشْرَقَت الأَرْضُ بنُورِ ربِّهَا ووُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٦٩) فارتجت لذلك اليوم البلاد ونادى المناد وكان يوم التلاق وكُشِفَ عن ساق، وكُسِفَتِ الشمس، وحُشِرت الوحوش مكان مواطن الحشر، وبدت الأسرار وهلكت الأشرار، وارتجت الأفئدة، فنزلت بأهل النار من الله سطوة مجيحة، وعقوبة منيحة، وبرزت

(٣٧) الروافد: أى العطايا

(٣٨) فائل: ضعيف

الجحيم لها كلب ولجب، وقصيف رعد، وتغيظ ووعيد تأجج جحيمها، وغلا حميمها. وتوقد سمومها. فلا ينفس خالدها، ولا تنقطع حسراتها. ولا يقصم كبولها. معهم ملائكة يبشرونهم بنزل من حميم، وتصلية جحيم. عن الله محجوبون،. ولأوليائه مفارقون، وإلى النار منطلقون.

عباد الله....؛

اتقوا الله تقية من كنع (٣٩) فخذع (٤٠) ووجل فرحل، وحذر فابصر وازدجر. فاحثث طلباً، ونجا هارباً، وقدم للمعار، واستظهربالزاد، وكفى بالله منتقماً وبصيراً، وكفى بالكتاب خصماً وحجيجاً، وكفى بالجنة ثوابا وكفى بالنار وبالاً وعقابا.

واستغفر الله لى ولكم) (٤١)

يا رهائن الموت!

عن زياد الأعرابى قال: صعد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه منبر الكوفة بعد فراغه من النهروان فحمد الله وخنقته العبرة، فبكى حتى ابتلت لحيته بدموعه وجرت، ثم نفض لحيته، فوقع رشاشها على ناس من أناس ثم قال:

نص

(يا أيها الناس....؛

لا تكونوا ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة بطول الأمل، يقول

(٣٩) كنع: أى خضع ولان (٤٠) فخذع: أى ذل.

(٤١) حلية الأولياء لأبى نعيم: ١/٧٧ ـ ٧٩

فى الدنيا قول الزاهدين، ويعمل بها عمل الراغبين، إن أعطى منها لم يشبع وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتى ويبتغى الزيارة فيما بقى، ويأمر ولا يأتى، وينهى ولا ينتهى، يحثُّ الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ويبغض الظالمين وهو منهم، تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن، إن استغنى فتن، وإن مرض حزن، وإن افتقر قنط ووهن، فهو بين الذنب والنعمة يرتع، يعافى فلا يشكر ويبتلى فلا يصبر، كأن المحذر من الموت سواه، وكأن من وعد وزجر غيره.

يا أغراض المنايا؛ يا رهائن الموت؛ ويا فاكهة الزمان؛ ويا نور الحدثان؛ ويا أخرس عند الحجيج؛ ويا من غمرته الفتن وحيل بينه وبين معرفة العبر؛

بحق أقول: ما نجا من نجا إلا بمعرفة نفسه، وما هلك من هلك إلا من تحت يده، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾ (٤٢)

جعلنا الله وإياكم ممن سمع الوعظ ودُعِىَ إلى العمل فعمل) (٤٣)

خير من بقى

عن سويد بن غفلة قال: مررت بقوم يذكرون أبا بكر، وعمر رضي الله عنهما ينتقصونهما، فأتيت علياً رضي الله عنه فذكرتُ له ذلك فقال: لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل، أخوان لرسول الله ﷺ ووزيراه؛

ثم صعد المنبر فخطب خطبة بليغة فقال:

(٤٢) التحريم آية: ٦

(٤٣) حياة الصحابة: ٤/٢٥١

نص

(ما بالُ أقوام يذكرون سَيِّدَى قُرَيش وأبَوَى المسلمين بما أنا عنه مُتَنَزِّهٌ ومما يقولون برىءُ، وعلى ما يقولون معاقِبٌ؟

والذى فلق الحبة وبرأ النسمَةَ؛ إنه لا يُحِبُّهما إلا مؤمنٌ تقىٌّ، ولا يبغضهما إلا فاجرُ ردىء، صَحِبا رسول الله ﷺ بالصدق والوفاء، يأمران وينهيان ويعاقبان، فما يجاوزان فيما يصنعان رأى رسول الله ﷺ، ولا يرى رسول الله ﷺ كرأيهما رأياً ولا يحب حُبَّهما حباً. مضى رسول الله ﷺ وهو عنهما راض والناس راضون، ثم ولى أبو بكر الصلاة فلما قبضَ الله نبيه ﷺ ولاَّ المسلمون ذلك وفَوَّضُوا إليه الزكاة لأنهما مقرونتان، وكنت أول من يسمى له من بنى عبد المطلب وهو لذلك كاره، يود أن بعضنا كفاه فكان والله؛ خير من بقى أرأفه رأفة، وأرحمه رحمة وأكيسه ورعاً، وأقدمه إسلاماً، شبهه رسول الله ﷺ بمكيائيل رأفة ورحمة، ورحمة بإبراهيم عفواً ووقاراً، فسار بسيرة رسول الله ﷺ حتى قُبض - (رحمة الله عليه) - .

ثم ولى الأمر من بعده عمر بن الخطاب واستأمرنى فى ذلك الناس فمنهم من رضى ومنهم من كره، فكنت ممن رضى. فوالله ما فارق عمر الدنيا حتى رضى من كان له كارهاً. فأقام الأمر على منهاج النبى ﷺ وآله وسلم وصاحبه، يتبع آثارهما كما يتبع الفصيلُ أَثَرَ أمِّ. وكان والله؛ خير من بقى رفيقاً رحيماً، وماصر المظلوم على الظالم. ثم ضرب الله بالحق على لسانه حتى رأينا أن ملكاً ينطِقُ على لسانه، وأعز الله بإسلامه الإسلام، وجعل هجرته للدين قواماً، وقذف فى قلوب المؤمنين الحبَّ له وفى قلوب المنافقين الرَّهبةَ له، شَبَّهَهُ رسول الله ﷺ بجبريل فظاً غليظاً على الأعداء، وبنوح حنقاً ومغتاظاً على الكافرين.

فمن لِكم بمثلهما ...؟

لا يبْلَغُ مَبْلَغُهُما إلا بالحب لهما واتباع آثارهما، فمن أحبهما فقد أحبنى، ومن أبغضهما فقد أبغضنى وأنا منه برىء.

ولو كنت تقدمت فى أمرهما لعاقبتُ أشدَّ العقوبة، فمن أتيت به بعد مقامى هذا فعليه ما على المفترى.

....ألا ...؛

وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، وعمر، ثم الله أعلم بالخير أين هو؟.

أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم) (٤٤)

هذه الخطبة العظيمة تبين أن المؤمن يجب عليه أن يحب أبا بكر رضي الله عنه أكثر من عمر، وعمر رضي الله عنه أكثر من على رضي الله عنه، بالترتيب؛ وهناك خطب أخرى عديدة فى هذا الأمر منهما.

حدثنا محمد بن عبيد الطنافسى حدثنا يحيى بن أيوب البجلى عن الشعبى عن وهب السوائى قال: خطبنا على فقال:

نص

(من خير هذه الأمة بعد نبيها؟

فقلت: أنت يا أمير المؤمنين

قال: لا ... خير هذه الأمة بعد نبيهما أبو بكر، ثم عمر، وما نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر) (٤٥)

(٤٤) حياة الصحابة: ٣/٢٣ ـ ٢٤.

(٤٥) جامع المسانيد والسنن: ٢٠/٢٧٠

وهناك أيضا: قال عبد الله بن أحمد حدثنا منصور بن أبى مزاحم حدثنا خالد الزيات حدثنى عون بن جحيفة قال: كان أبى من شرط على، وكان تحت المنبر، فحدثنى أبى أنه صعد المنبر «يعنى علياً»، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ وقال:

نص

(خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، والثانى عمر.

وقال: يجعل الله تعالى الخير حيث أحب) (٤٦)

وهناك أخيرا: قال عبد الله بن أحمد: حدثنا زكريا بن يحيى رحمويه حدثنا عمر بن مجاشع عن أبى إسحاق عن عبد خير قال:

سمعت عليا يقول على المنبر:

نص

(خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، وعمر ولو شئت أسمى الثالث لسميته) (٤٧)

زمان عضوض

عن شيخ من بنى تميم قال: خطبنا على رضي الله عنه، أو قال على رضي الله عنه:

---

(٤٦) جامع المسانيد والسنن: ٢٠/٢٧١

(٤٧) جامع المسانيد والسنن: ٢٠/٩١

نص

(يأتى على الناس زمان عَضُوضُ يَعُضُّ الموسِرُ على ما فى يديه قال: ولم يؤمر بذلك، قال الله عزَّ وجلَّ: ولا تنسوا الفضل بينكم وينهدُ الأشرار ويستذل الأخيار ويبايع المضطرون، قال: بيع الغرر، وعن بيع الثمرة قبل أن تدرك) (٤٨)

غداً حساب ولا عمل

هذه الخطبة من كتاب «شرح نهج البلاغة» ولقد استراعنى فى شرح هذه الخطبة بعض الآبيات الشعرية لأبى العتاهية اسمحوا لى أن أذكرها لكم قبل ذكر الخطبة هذه الأبيات هى:

لا تأمَنِ الموتَ فى لحظٍ ولا نَفَسِ
ولو تمنعتَ بالحُجَّاب والحَرس
واعلَمْ بأن سِهَامَ الموتِ قاصِدَةٌ
لِكُلِّ مدرع منا ومُتَّرِسِ
ما بالُ دينك تَرضَى أن تُدَنِّسهُ
وثَوْبُ لُبْسِكَ مَغْسُولٌ من الدَّنَسِ؛
ترجو النَّجَاةَ ولم تَسْلُكْ مسالكها
إن السَّفِينَةَ لا تجرى على اليَبَسِ

وبعد هذه الأبيات العظيمة، فإليكم خطبة الإمام على بن أبى طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهى:

(٤٨) حياة الصحابة: ٤/٢٥٧

نص

(أيُّهـاَ النَّـاسُ، إن أخـوفَ مـا أخـاَفُ عليكم اثنـان: اتبـاع الهـوى، وطول الأمل.

فأما اتباع الهوى: فيصد عن الحق، وأما طُولُ الأمَل: فَيُنسِي الآخِرة.

ألا وإن الدنيا قد وبَّت حَذَّاءَ (٤٩) فلم يَبْقَ منها إلا صُبـاَبةٌ كَصُبَابَةِ (٥٠) الإناء، اصطحبها صابُّهاَ.

ألا وإن الآخِـرَةَ قـد أقـبلت، ولكل منهـمـا بَنُون (٥١)، فكونوا مـن أبناء الآخرةِ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا

فإن كُلَّ ولدٍ سَيُلْحَقُ بأُمِّهِ (٥٢) يوم القيامَةِ، وإن اليوم عَمَلُ ولا حِسَاب وغداً حِسَابُ ولا عمل) (٥٣)

---

(٤٩) حَذَّاءَ: سريعة، وقد ورد رواية أخرى: جَذَّاءَ: أى انقطع دَرُّها وخَيْرها.

(٥٠) الصبابة: بقية الماء فى الإناء، والمقصود هنا: أن القادم منها أقل مما قد مضى.

ولذلك قال أحد الصالحين: «بقاؤك إلى فناء، وفناؤك إلى بقاء، فخد من فنائك الذى لايبقي، لبقائك الذى لايفنى.

(٥١) بنون: أى أولاد والمقصود هنا من نشأ فى عبادة الله فهو من بنين الآخره، ومن نشأ على الهوى فهو من بنين الدنيا.

(٥٢) سيلحق بأمه: أى من عمل للدنيا فهى أمه وليس له في الآخره نصيب، ومن عمل للآخرة فى دنياه فسيلحق بالثواب فى الآخرة، وذلك الرأى يدعمه قول الحق تبارك وتعالى ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ * وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (البقرة: ٢٠٠ ـ ٢٠٢)

(٥٣) شرح نهج البلاغة: ٢١٨/٢ ـ ٢٢٠.

الغـــراء

فى كل خطبـــة من الخطب الســابقــة كنا نضع لهـــا اسم، من داخل الخطبة، يدل على مضمونها، ولكن فى هذه الخطبة هذا الاسم «الغراء» هو الاسم الذى اشتهرت به، هذه الخطبة فى جميع المراجع والكتب.

وحتى لا أطيل عليكم فإليكم نصها.

نص

(الحمد لله الذى علاَ بحَوْلِه (٥٤)، ودَنَا بطَوْلِهِ (٥٥) مَانِح (٥٦) كُلَّ غَنيمَةٍ وفضل، وكاشِفِ كل عظيمةٍ وأَزْلٍ (٥٧).

أحـمـده على عَـوَاطف كـرمِـه، وسـوابغ نعـمِـه. وأومن به أولاً بادياً، وأستهديه قريباً هادياً، وأستعينُهُ قاهِراً قادراً، وأتوكل عليه كافياً ناصراً.

وأشهد أن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسله لإنفاذ أمرِهِ، وإنهاءِ عذْرِهِ وتقديم نُذُرِهِ

فاتقوا الله تَقيَّةَ من سَمِعَ فَخَشَعَ، واقترف فاعترف، ووجلَ (٥٨) فَعَمِلَ، وحاذَرَ فبادَرَ، وأيقَنَ فأحسن، وعُبِّرَ (٥٩) فاعتبر، وحَذِّرَ فَحَذِرَ، وزُجِرَ فازدجر، وأجاب فأناب، وراجع فتاب، واقتدى (٦٠) فاحتذى، وأُرِيَ فرأى،

(٥٤) بحوله: أى بقوته. (٥٥) بطوله: الطول هو الإفضال.

(٥٦) مانح: معطى

(٥٧) أزل: الأزل بفتح الهمزة (الضيق والحبس)

(٥٨) وجل: أى خاف والوجل المقصود به الخوف من الله عزَّ وجلَّ.

(٥٩) عُبرَ: أى رأى العبر كثيرا ثم قال: فاعتبر أى: فاتعظ.

(٦٠) اقتدى: أى: فعل بالمثل، وجاء بعد احتذى: وهى بنفس المعنى.

فأسرع طالباً، ونجا هارباً، فأفاد ذخيرةً وأطاب سَرِيرَةً، وعمَّرَ معاداً، واستظهر زاداً، ليوم رحيله، ووجه سبيله، رحالِ حاجتِهِ وموفاقتِهِ، وقدَّم أمامَهُ لدار مُقَامِهِ.

فهل ينتظر أهل بضاضة [٦١] الشباب إلا حَوَانِىَ الهَرَم، وأهل غضارَة [٦٢] الصِّحَةِ إلا نوازلَ السَّقَم، وأهل مُدَّةِ البقاء إلا آونَةَ الفناء، مع قُربِ الزِّيال [٦٣]، وأزوفَ [٦٤] الانتقال، وعَلَز [٦٥] القلق، وألم المضض [٦٦]، وغُصَصِ الجرَض، وتَلَفُّت الاستغاثه بنُصْرَةِ الحضرةِ والأقرباء، والأعزةِ والقُرناء، فهل رَفَعَتِ الأقاربُ أو نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ، وقد غودِرَ فى مَحَلَّةِ الأمواتِ رهيناً وفى ضيق المضجع وحيداً، قد هتكت الهوامُّ [٦٧] جلدَتَهُ وأبْلَتِ النواهك جدَّتَهُ، وعَفَتِ العواصفُ آثَارَهُ، ومحا الحدثانُ معالمهُ، وصارت الأحشاد شَحِبَةً [٦٨] بعد بَضَّتِها، والعظام نَخِرَةً [٦٩] بعد قوتها، والأرواحُ مُرتَهَنَةً بثقل أعبائها [٧٠] مُوقنةً بغيب أنبائها [٧١] لا تُستَزَادُ من صَالِحِ عَمَلِها، ولا تُستَعتَبُ من سيىء زَلَلِها.

---

(٦١) بضاضة: رجل بض أى: ممتلئ البدن رقيق الجلد وكذا امرأة بضة.

(٦٢) غضارة: طيب العيش وخصبه.

(٦٣) الزيال: مصدر زايله مزايلة وزيالا، أى فارقه.

(٦٤) أزوف: مصدر أزف، أى دنا (اقترب)

(٦٥) علز: قلق وخفة وهلع يصيب الإنسان

(٦٦) المضض: المرض

(٦٧) الهوام: جمع هامة، وهى مايخاف ضرره من الأحناش: كالعقارب والعناكب ونحوها.

(٦٨) شحبة: أى هالكة.

(٦٩) نخرة: أى بالية

(٧٠) أعبائها: أى أثقالها.

(٧١) موقنة بغيب أنبائها: لأن الميت يعلم بعد موته ما يصير إليه حاله من جنة أو نار.

أو لبستمُ أبناءَ القوم والآباءَ، وإخوانَهُم والأقرباءَ، تحتذون أمثلَتَهُمْ، وتركَبُن قدتَهُم وتطئونَ جادَّتَهُمْ، فالقلوب قاسيَةُ عن حَظِّها، لاهيَةُ عن رُشدها، سالِكَةُ فى غير مضمارِها، كأن المعنى سِوَاهَا، وكأن الرُّشدَ فى إحرَازِ دُنيَاهَا.

واعلموا أن مَجَازَكُم على الصِّرَاطِ ومَزالِقِ دحضه (٧٢)، وأهَاويل (٧٣) زَلَلِهَ وتارَاتِ أهوَالِه، فاتقوا الله عباد الله، تَقِيَّةَ، ذى لُب (٧٤) شغل التفكيرُ قَلْبَهُ، وأنْصَبَ (٧٥) الخوفُ رِنَّهُ، وأسهَرَ التهجُّدُ غِرارَ (٧٦) نومِهِ، واظمأ الرجاءُ هَواجِر (٧٧) يَومِهِ، وظَلَفَ (٧٨) الزُّهْدُ شهواتِهِ، وأوجَفَ (٧٩) الذِّكْرُ بلسانِهِ، وقَدَّمَ الخوفَ لأمانِهِ، وتنكب المخالجَ (٨٠) عن وَضَحِ السبيلِ، وسلك أقصَدَ المَسَالِكِ إلى النهج المطلوب، ولم تفتلهُ فاتلاتُ الغُرُور، ولم تَعْمَ عَليهِ مشتبهات الأمور، ظافراً بفَرْحَةِ البُشرَى، وراحةِ النُّعمى، فى أنْعَمِ نَوْمِهِ وآمَنِ يَوْمِهِ.

قد عبر معبَرَ العاجلَةِ حميداً، وقَدَّم زاد الآجلَةِ سعيداً وبادر عن وَجَلٍ، وأكمشَ فى مَهَلٍ، ورَغِبَ فى طلبه، وذهب عن هَرَبٍ، وراقب فى يَومِهِ غَدَهُ،

(٧٢) دحضه: مكان دحض أى زلق.

(٧٣) أهاويل: الأمور المفزعة

(٧٤) لب: أى عقل أو قلب.

(٧٥) أنصب: أى أتعب، والنصب: التعب.

(٧٦) الغرار: قلة النوم

(٧٧) هواجر: جمع هاجرة وهى نصف النهار عند اشتداد الحر.

(٧٨) ظلف: منع

(٧٩) اوجف: أسرع

(٨٠) مخالج: الأمور المختلجة أى الجاذبة.

ورُبَّماَ نظر قدُماً أمامَهُ.

فكفى بالجنة ثواباً ونوالاً، وكفى بالنارِ عقابا ووبالاً؛ وكفى بالله منتقماً ونصيراً؛ وكفى بالكتاب حجيجاً وخَصِيما؛)[٨١]

هذه الخطبة طويلة جداً ولكنى قد قطعت منها بعض الأجزاء وتركت هذه الأجزاء لما فيها من بليغ الكلام وعظيم العبر، وأرجو من الله أن نعمل بها جميعا اللّهم آمين.

(٨١) شرح نهج البلاغة: ٦/٢٤١ ـ ٢٦٧

الإفادة

فى هذا الفصل استرعانى بعض الخطب، ورأيت أنه يجب أن يفهمها جيداً من يعمل فى طريق الدعوة، حتى يبينها ويوضحها للناس لإنها وللأسف الشديد معروفة ولكنها غير مفهومة، وحتى لا أطيل عليكم فهيا بنا نعرض هذه الأمور.

●● الأمر الأول: الحدود رحمة:

سبق وأن قلنا فى الخطبة التى سميناها (أحسنت) أن الحدود رحمة وقلنا: إننا سنؤجل الإجابة على السؤال، كيف تكون الحدود رحمة؟ للإفادة، وهاهنا فى الإفادة اسمحوا أن أقول لكم إنها رحمة من ثلاث أوجه.

الوجه الأول: الحفاظ على الحضارة وقانون المدنية، وقطع قانون الغابة، فبالحدود ينتظم النسل فلا تختلط الأنساب، وذلك لوجود حد الزنا، وبالحدود أيضا تنام وتسافر وأنت مطمئن، وذلك لوجود حد السرقة، وقاطع الطريق فتأمن على نفسك ومالك وأهلك بهذا الحد، وبالحدود أيضا تأمن على نفسك من اعتراض أحد السكارى لك محاولا الاعتداء عليك وهذا الحد هو حد شرب الخمر.

الوجه الثانى: قمع الشر داخل النفس البشرية وسأضرب لذلك مثالا بسيطاً وهو «إن كنت قد نويت على الزنا وحاول الشيطان الإيقاع بك فمن الممكن أن تلين نفسك للزنا، ولكن عندما تتذكر الحد فإن ذلك يوقفك وهذه هى عادة النفس البشرية». هذا المثل على الزنا، ولكن لنقيس بقية الحدود على هذا المثل.

الوجه الثالث: هو الحد نفسه فالحد لم يجعل للهلكة، ولكنه جُعِلَ للردع؛ والدليل على ذلك خطبة الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه الموضوعة

تحت عنوان (أحسنت)، والتى وضح لنا من خلالها أن الإمام لم يجلد الأمة حتى لا تهلك فهى مازالت نفساء، وبالطبع رأينا كيف أيده رسول الله ﷺ.

من هذه الوجوه الثلاثة: علمنا أن الحد رحمة فى ثلاثة وجوه: رحمة للشخص القائم بالجُرم، ورحمة لمن سيقع عليه الجُرم، ورحمة فى تنفيذه أيضا.

وسوف أطرح عليكم الأمر الثانى الذى يدعم هذا الرأى.

●● الأمر الثانى: رحمة فى رحمة:

هذا الأمر نستخرجه من الخطبة الموضوعة تحت عنوان «الأمراء من قريش»؛ ولقد ذكرنا أن هذه الخطبة من خطب المصطفى ﷺ، ولكنها جاءت على لسان على بن أبى طالب رضي الله عنه، وقلنا: إننا ذكرناها لغرض، هذا الغرض اتضح أمامنا الآن: وهو تدعيم لرأى أن إقامة الحدود رحمة، لأن هذه الخطبة أوضحت أن المراء من قريض، ولكن يشترط فيهم ثلاثة شروط:

١ - ما حكموا فعدلوا

٢ - وما عاهدوا فوفوا

٣ - وما استرحموا فرحموا

إن نظرنا جيداً لهذه الثلاثة شروط وجدنا أنها رحمة فى رحمة، فالأمير عندما يطبق العدل يُفرح الرعية، وعندما يعاهد فيفى، نشعر معه بالأمان وعندما يسترحم فيرحم فليس ذلك ببعيد عليه لأنه عادل وَفَّى بالعهد.

ومن هذا يتضح لنا أن الإسلام لا يريد أن يأمرنا قاطعى رقاب، ونستطيع أن نقول أيضا للغرب: كذبتم فى ادعاءتكم على الإسلام وقولكم:

إنه (دين السيف) فالإسلام دين الرحمة والسماحة، ولكنه أيضا دين يستطيع أن يبنى العالم كله بنيانا قويا متينا هذا البناء هو الشرع الذى يضمن عدم انهيار الأمم.

●● الأمر الثالث: العشيرة:

يأمرنا الإسلام بالترابط والجماعة، ويوضح لنا جيداً، كيف أن الإنسان ضعيف فى نفسه قوى مع غيره، وهو مع غيره قوى ما كان رباط الله هو الذى يجمعهم، والإسلام يأمر أهله أن يتراحموا فيما بينهم، وأن يأتلفوا ولا يختلفوا، ولا يعلوا أحدهم على الآخر، الكل سواسية كأسنان المشط، هذا الكلام كله هو ما أوضحه لنا الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه فى خطبته «مرافقة الأنبياء» هذا الترابط هو ما سيقام به مجتمع قوى، والضوابط السابق ذكرها فى الأمر الأول، والثانى هى قوائم الأمر كله.

وأختم هذه الأمور بل وأختم الفصل كله بقولى: ينبغى على كل داعية أن يبين هذه الأمور لكل الناس ويوضحها ويكثر الحديث فيها وليدعم قوله بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٣ ـ ١٠٧)

الفصل الثالث

خطبه الشافية

- أول سابق بالإسلام
- فبكت الأعين
- حد السيف
- القوم باتوا غافلين
- وصية أمير المؤمنين



الفصل الثالث

خطبه الشافية

هذا الفصل سنتحدث إن شاء الله عن خطبه وكلماته، الخاصة بحال المؤمنين، وأيضا خطبه الخاصة بمكانته ومنزلته ومنزلة أصحاب رسول الله ﷺ، هذه الخطب ستخرص ألسنة كل من سيحاول الطعن فى الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه وأرضاه، وستبين أيضا كيف أن الأمة الإسلامية انهارت ولم يعد فيها نماذج من النماذج الإيمانية التى وجدت فى عصر رسول الله ﷺ، وحتى لا أطيل عليكم فهيا بنا نمضى سويا للنعم بأقوال الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه، وأرضاه.

أول سابق بالإسلام

هذا الحديث أو بمعنى آخر هذه الخطبة تبين مكانة الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه، وكيف أنه كان سابق فى الإسلام غيره.

عن عباد بن عبد الله، قال على: أنا عبد الله، وأخو رسول الله ﷺ، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدى إلا كذاب.

صليت قبل الناس بسبع سنين.

عن حبة العرنى قال: رأيت علياً ضحك على المنبر، لم أره ضحك ضحكاً أكثر منه، حتى بدت نواجذه، ثم قال:

نص

(ذكرت قول أبى طالب.

ظهر علينا أبو طالب وأنا مع رسول الله ﷺ، ونحن نصلى ببطن نخلة

فقال: ما تصنعان يا ابن أخى؟

فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام.

فقال: ما بالذى تصنعان بأس أو بالذى تقولان بأس. ولكن والله؛ لا تعلونى استى أبداً؛

وضحك تعجبا لقول أبيه.

ثم قال: اللّهم؛ لا أعترف أن عبداً لك من هذه الأمة عبدك قبلى، غير نبيك (ثلاث مرات) لقد صليت قبل أن يصلى الناس سبعاً.)

(وعن حبة العرنى قال: سمعت علياً يخطب فضحك ضحكاً ما رأيته ضحكه، وهو على المنبر.

فقال: لقد رأيتنى مع رسول الله ﷺ، فاطّلع أبى علينا وأنا أصلى مع رسول الله ﷺ.

قال: أى بنى؛ ما كنتما تصنعان؟

قلت: كنا نصلى.

فقال أبو طالب: والله؛ لا تعلونى استى أبداً.

فرأيته يضحك من قول أبيه، ثم قال: لقد رأيتنى صليت قبل الناس حججا) [1]

هذه الخطبة تبين كيف كان الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه سباق فى الإسلام.

---

(١) جامع المسانيد والسنن: ١٢/١٩ ـ ١٣

فبكت الأعين

هذه الخطبة كان من المفروض أن تذكر فى خطب الولاية، ولكنى رأيت أن أذكرها هنا لأن فيها كلمات ستدلل لنا على مدى حرص الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه على قيام هذا الدين وعلوه حتى وإن كان ذلك على حساب نفسه وأهله؛ وحتى لا أطيل عليكم فإليكم الخطبة.

عن أبو الحسن على بن محمد المدائنى، عن عبد الله بن جُنَادَة، قال: قدمتُ من الحجاز أريد العراق، فى أول إمارة على رضي الله عنه فمررت بمكة، فاعتمرت، ثم قدمتُ المدينة، فدخلت مسجد رسول الله ﷺ وآله، إذ نودى لصلاة جماعة، فاجتمع الناس وخرج على رضي الله عنه متقلداً سيفه، فشخصت الأبصار نحوه فحمد الله وصلى على رسوله، صلى الله عليه وآله، ثم قال:

نص

(أما بعد...)

فإنه لما قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله، قلنا: نحن أهلُه وورثته وعِترته، وأولياؤه دون الناس، لا ينازعُنا سلطانه أحد، ولا يطمع فى حقنا طامع، إذ انبرى لنا قومُنا فغصبونا سلطان نبينا، فصارت الإمرة لغيرنا.

وصرنا سوقة، يطمع فينا الضعيف ويتعزز علينا الذليل، فبكت الأعين منا لذلك، وخَشِنَت الصدور، وجزعت النفوس.

(وايم الله لولا مخافة الفرْقَة بين المسلمين، وأن يعود الكفر، ويبور الدين لكنا على غير ما كنا لهم عليه.)

فولىَ الأمْرَ ولاة لم يألوا الناسَ خيرا، ثم استخرجتمونى أيها الناس من بيتى، فبايعتمونى على شَيْنٍ، منّى لأمركم، وفراسة تصدُقنِى ما فى قلوب

كثير منكم، وبايعنى هذان الرجلان فى أول من بايع، تعلمون ذلك، وقد نكثا وغدرا، ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم، ويُلقيا بأسكم بينكم.

اللَّهم فخذهما بما عملا أخذةً رابية [٢] ولا تنعش لهما صَرْعة ولا تُقِل لهما عَثْرة، ولا تمهلهما فُواقا، فإنهما يطلبان حقا تركاه، ودماً سفكاه.

اللهم إنى اقتضيك وعدَك، فإنك قلت وقولك الحق: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ (الحج: ٦٠) اللهم فأنجز لى موعدَك، ولا تكلنى إلى نفسى، إنك على كل شىء قدير) [٣]

هذه الخطبة تبين حرص أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه على إقامة عصا الإسلام؛ فلقد كان أهل الإمارة وأولى بها بعد وفاة رسول الله ﷺ، ولكن عندما تولى غيره التزم بالسمع والطاعة فهو بذلك مؤمن مصلحة الإسلام عنده مقدمة على «مصالحه الشخصية بل وعِزّ الإسلام وعلوه أهم بلايين المرات من عِزَّ نفسه، وأدعم هذه الخطبة بخطبة أخرى وهى:

حد السيف

روى الكلبى قال: لما أراد على عليه السلام المسير إلى البصرة، قام فخطب الناس، فقال بعد أن حَمِدَ الله وصلى على رسوله، ﷺ:

نص

(إن الله لما قبض نبيه، استأثرت علينا قريش بالأمر، ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة، (فرأيت أن الصبر على ذلك أفضلُ من تفريق كلمة المسلمين، وسفك دمائهم.)

(٢) أخذةً رابية: أى أخذة تزيد على الأخذات، أخذة شديدة وزائدة.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨

والناس حديثو عهد بالإسلام، والدين يُمخَضُ مَخضَ الوطب، يفسده أدنى وهن ويعكسه أقل خُلَف. فولَى الأمر قوم لم يألوا فى أمرهم اجتهاداً، ثم انتقلوا إلى دار الجزاء، والله ولَى تمحيص سيئاتهم، والعفو عن عفواتهم.

فما بال طلحة والزبير، وليس من هذا الأمر بسبيل؛ لم يصبرا علىَّ حولاً ولا شهرا حتى وثبا ومَرَقا، ونازعانى أمراً لم يجعل الله لهما إليه سبيلا، بعد أن بايعا طائعين غير مكرهين، يرتضعان أُماً قد فَطَمت، ويُجيبا بدعةً قد أميتت.

آدم عثمان زعما؛ والله ما التَّبعةُ إلا عندهم وفيهم، وإن أعظم حُجتهم لعلى أنفسهم، وأنا راض بحجة الله عليهم وعمله فيهم، فإن فاءا وأنابا فحظهما أحرزا، وأنفسهما غَنِما، وأعظم بها غنيمة؛

وإن أبَيَا أعطيتهما حد السيف، وكفى به ناصراً لحق، وشافيا لباطل.) [٤]

القوم باتوا غافلين

الخطب السابقة بينت حال أمير المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكيف كان حريصا على الإسلام هو وأصحاب رسول الله ﷺ، ولكن كيف كان الحال فى عهده وفى عهدنا؟؟

وحتى نجيب فلنقرأ سوياً ما جاء على لسان أمير المؤمنين على بن أبى طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال أبو نعيم: أفادنى هذا الحديث الدارقطنى عن شيخى، لم أكتبه إلا من هذا الوجه، حدثنا محمد بن جعفر، وعلى بن أحمد، قالا: حدثنا إسحاق ابن إبراهيم حدثنا محمد بن يزيد أبو هشام حدثنا المحاربى عن مالك بن مغول عن رجل من جعفى السدى من أبى أراكه قال:

(٤) شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩.

صلى عَلِيٌّ الغداة، ثم لبث فى مجلسه حتى ارتفعت الشمس قيد رمح كأن عليه كآبة، ثم قال:

نص

(لقد رأيت أثرا من أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى أحدا يشبههم، والله إن كانوا ليصبحون شعثا غبرا صفرا بين أعينهم مثل ركب المعزى، قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم إذا ذكر الله مادوا كما تميد الشجرة فى يوم ريح، فانهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين) (٥)

هذه الخطبة بينت حال الصحابة الأبرار وما كانوا عليه، وكيف أصبح الحال فالشكوى من عهد على بن أبى طالب رضي الله عنه، فاجتهدوا وأيا دعاة الإسلام عسى أن نلحق بركب الصحابة الأجلاء فنكون كما قال الإمام على رضي الله عنه:

(طوبى لكل عبد نؤمة، عرف الناس، ولم يعرفه الناس، عرفه الله برضوان. أولئك مصابيح الهدى يكشف الله عنهم كل فتنة مظلمة، سيدخلهم الله فى رحمة منه، ليس أولئك بالمذاييع البذر، ولا الجفاة المرائين) (٦)

وهناك أيضا، (حدثنا سليمان بن أحمد ثنا أبو مسلم الكش حدثنا عبد العزيز بن الخطاب ثنا سهل بن شعيب عن أبى على الصيقل عن عبد الأعلى عن نوف البكالى قال: رأيت على بن أبى طالب خرج فنظر إلى النجوم.

فقال: يا نوف أراقد أنت أم رامق؟

(٥) حلية الأولياء لأبى نعيم: ١/٧٦، والبداية والنهاية للعلامة ابن كثير: ٦/٨

(٦) حلية الأولياء لأبى نعيم: ١/٧٦ ـ ٧٧

قلت: بل رامق يا أمير المؤمنين.

فقال: يا نوف طوبى للزاهدين فى الدنيا، الراغبين فى الآخرة أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن والدعاء دثارا وشعارا.

قرضوا الدنيا على منهاج المسيح عليه السلام. يا نوف إن الله تعالى أوحى إلى عيسى أن مر بنى إسرائيل أن لا يدخلوا بيتا من بيوتى إلا بقلوب طاهرة، وأبصار خاشعة، وأيد نقية، فإنى لا أستجيب لأحد منهم ولأحد من خلقى عنده مظلمة. يا نوف لا تكن شاعراً، ولا عريفاً، ولا شرطيا، ولا جابياً، ولاعشاراً. فإن داود عليه السلام قام فى ساعة من الليل. فقال: إنها ساعة لا يدعو عبد إلا أستجيب له فيها، إلا أن يكون عريفاً أو شرطياً أو جابياً أو عشارا أو صاحب عرطبة «وهو الطنبور أو صاحب كوبة «أوهو الطبل») (٧)

ذكرت الخطبة وبها ما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ وكيف تمنى على أن يكون حال من معه كحالهم؟ وكم نتمنى نحن أيضا أن نكون أمثالهم فهم النور الذى يضىء ظلمات الدنيا، وهم ماء السقاء لكل من طلب العلو والكرامة والعزة فى الدنيا والآخرة.

وذكرت فى النهاية ما قاله الإمام عَلِىٌّ لنوف يبين له كيف نزهد الزهد الطيب الذى نقف به أمام إلهنا، فيارب نسألك الصفات التى ذكرها عَلِىٌّ لنوف فيكلمته اللهم آمين.

واختم هذا الكتاب بوصية أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه وهى:

(٨) حلية الأولياء: ١/ ٧٩

وصية على بن أبى طالب

نص

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به على بن أبى طالب أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، وأوصيك يا حسن وجميع ولدى ومن بلغه كتابى بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، فإنى سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام»، انظروا إلى ذوى أرحامكم فصلوا ليهون الله عليكم الحساب، الله الله فى الأيتام فلا تعفوا أفواههم ولا يضيعن بحضرتكم.

والله الله فى جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ما زال يوصى بهم حتى ظننا أنه سيورثهم.

والله الله فى القرآن فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم.

والله الله فى الصلاة فإنها عمود دينكم.

والله الله فى بيت ربكم فلا يخلون منكم ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا.

والله الله فى شهر رمضان فإن صيامه جنة من النار.

والله الله فى الجهاد فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم.

والله الله فى الزكاة فإنها تطفئ غضب الرب.

والله الله فى ذمة نبيكم لا تظلمن بين ظهرانيكم.

والله الله فى أصحاب نبيكم فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم.

والله الله فى الفقراء والمساكين فأشركوهم فى معاشكم.

والله الله فيما ملكت أيمانكم فإن آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال: «أوصيكم بالضعيفين نسائكم وما ملكت أيمانكم».

الصلاة الصلاة لا تخافن فى الله لومة لائم يكفكم من أرادكم وبغى عليكم، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيولى الأمر شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم، وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ عليكم نبيكم، أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله) (٨)

هذه وصية أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه وأرضاه من جاهد وفتح وغزا وحكم البلاد، وكان الكل يرهب بطشة سيفه. لم نجد فى وصيته خبراً عن ألوف الدراهم والدنانير. لم نجد شيئا عن الأطيان والعمارات أو عن الجوارى والمواشى، فلقد حكم ولكنه حكم بما أرضى الله ورسوله، وسار على الصراط القويم؛ فياليت كل الناس على بن أبى طالب رضي الله عنه وأرضاه.

وأخيراً: على الداعية أن ينظر لتلك النماذج الإيمانية العالية الهمة فيدرس كل قول وفعل لهم ثم يخاطب الناس بشأنهم فما وقع يكون أكثر تأثيراً عن الكلام فيما لم يقع وحتى لا يكون بكلامى غموض إن بعض الدعاة يقولون: أصلحوا ذات بينكم حتى تجدوا الصلاح والفلاح. وأقيموا الصلاة حتى تنعموا برضا الله، وتصدقوا حتى يذهب عنكم المرض، وكل ذلك حكاية

(٨) البداية والنهاية لابن كثير: ٧/٣١٠ ـ ٣١١، وكذا تاريخ الأمم والملوك للطبرى: ٦/٦٣ ـ ٤٤

لما سيكون إذا فعل الشخص ذلك.

هذه الحكاية لا تؤثر فى المستمع بنسبة عالية، ولكن اذا اتبع الدعاة سرد ما كان من أخبار هؤلاء الأعلام كان هذا دافعاً وحافزاً للمستمع حتى يقلد هؤلاء الأعلام فى اقترابهم من ربهم وأخيراً أقول لقد اجتهدت فى جمع هذه الخطب وأرجو من الله أن يجتهد الدعاة فى تبليغها عسى الله أن يبعث فينا أبو بكر، أو عمر، أو عثمان، أو على ـ رضى الله عنهم جميعا ـ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المؤلف
محمد عبده

المراجـــــع

١ ـ البداية والنهاية

للحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير

٢ ـ جامع المسانيد والسنن

للحافظ عماد الدين أبى الفداء بن كثير بتخريج الدكتور عبد المعطى أمين قلعجى

٣ ـ تاريخ الخلفاء

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى

٤ ـ تاريخ الأمم والملوك

للإمام الحافظ أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى

٥ ـ تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى

للعلامة المحدث أبى العلى محمد بن عبد الرحيم المباركفورى

٦ ـ حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء

للحافظ أبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى

٧ ـ سنن ابن ماجه

للحافظ أبى عبدالله محمد بن يزيد بن ماجة القزوينى

٨ ـ سنن النسائى

للإمام الحافظ أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على النسائى

٩ ـ فتح البارى شرح صحيح البخارى

للإمام الحافظ أبى فضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى

١٠ ـ مسند الإمام أحمد

للإمام أبى عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى

١١ ـ مناقب أمير المؤمنين على بن أبى طالب

للحافظ أبى الحسن على بن محمد الواسطى المعروف بـ «ابن المغازلى»

١٢ ـ حياة الصحابة

للمؤلف محمد يوسف الكاندهلوى

١٣ ـ شرح نهج البلاغة

لابن أبى الحديد بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

١٤ ـ صبح الأعشى فى صناعة الإنشا

تأليف أحمد بن على القلقشندى

١٥ ـ لسان العرب

للعلامة ابن منظور

١٦ ـ إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء

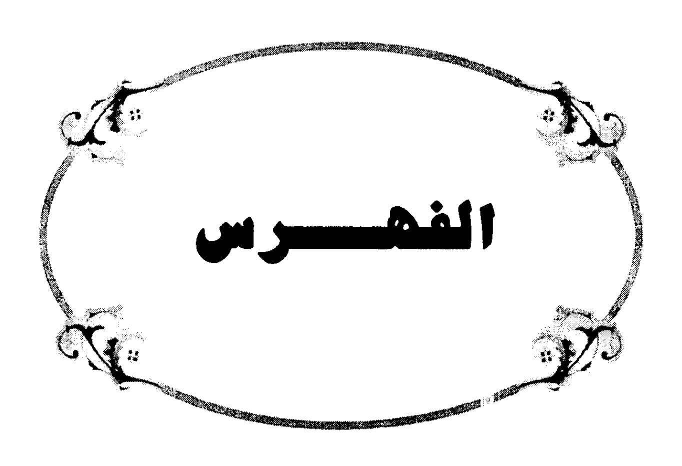
لـ محمد الخضرى

١٧ ـ صحيح مسلم

للإمام الحافظ أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى

١٨ ـ العواصم من القواصم

للإمام القاضى أبى بكر بن العربى المالكى.


الفهـــرس



الأمر الثالث:

